الملامح التربوية في نهج البلاغة

وصية أمير المؤمنين (عليه السلام)
لولده الإمام الحسن (عليه السلام)
- إنموذجاً -

عمـاد الكاظمي

منشورات معالم الفكر

الملامح التربوية في نهج البلاغة

وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام) -إنموذجاً-

عماد الكاظمي

الكتاب: الملامح التربوية في نهج البلاغة -وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام) إنموذجا-

المؤلف: عماد الكاظمي.

الطبعة: الأولى.

الناشر: معالم الفكر / لبنان - حارة حريك مجاور مسجد الحسنين

العراق - الكاظمية المقدسة

السنة: ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٦٩) لسنة ٢٠١٢م

الإهداء:

- إلى ريحانة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

- إلى سيد شباب أهل الجنة ..

- إلى قرة عين الوصي والبتول ..

- إلى سيدي ومولاي أبي محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) أقدم هذه الصفحات .. لعلها تنفعني يوم ألقاه .. فتكون لي فخراً وشرفاً .. أنني قد ذكرتُ فضائلهم .. ونشرتُ محاسن كلامهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

يُعَدُّ كتابُ "نهج البلاغة" من أمهاتِ مصادرِ التراثِ الإسلاميِّ الخالد، حيث تضمَّنَ كلامَ سيدِ البلغاءِ والمتكلمينَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، والذي هو صِنْوُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبُهُ والمتَتَبِّعُ أثَرَهُ وآثارَهُ، حتى غَذّاهُ من علمهِ ألفَ بابٍ يُفتح له من كُلِّ بابٍ ألفُ باب، ومَنْ تتبَّعَ هذا السفرَ الخالدَ يعلمُ حقيقةَ تلكَ المدرسةِ المحمديَّةِ العلويَّةِ التي خَلُدَتْ مدى تلكَ السنينَ وستبقى إلى آخِرِ الدهر، لذا نرى أنَّ كلماتِ كبارِ المفكرينَ قاصرةٌ عن وَصْفِ هذا "النهج العلوي"، حيث يقول المستر "كربنكو" في خلالِ حديثِهِ عن إعجازِ القرآن: ((إنَّ للقرآنِ أخاً صَغيراً يُسمى نهجُ البلاغةِ فهلْ في إمكانِ أحدٍ أنْ يأتي بمثلِ هذا الأخِ الصغيرِ حتى يسوغَ لنا البحثُ عن الأخِ الكبير))[1]، ويقول الشيخ "ناصيف اليازجي" في وصيتهِ لولدِهِ: ((إذا شِئْتَ أنْ تفوقَ أقرانَكَ في العلمِ والأدَبِ وصناعَةِ الإنشاءِ فعليكَ بحفظِ القرآنِ ونهجِ البلاغة))[2]،

---

[1] المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ص١٧

[2] المصدر نفسه ص٦

نعم لقد أصبحَ "نهج البلاغة" يُقْرَنُ بالقرآنِ وهذا جزءٌ من حقيقتِهِ وَسِرَّ خلودِهِ لِمَنْ يتطلعُ ألفاظَهُ ومعانيهِ الراقية، حيثُ فيهِ من الكلماتِ التي يَراها الباحثونَ منهجاً إنسانياً، أو منهجاً ثقافياً، أو قانوناً مدنياً، أو تربوياً، وهكذا..، ففي جميعِ مفرداتِهِ نرى الملامِحَ التربويةَ التي يريدُ أنْ يؤكِّدَ عليها من خلالِ خطبِهِ ووصاياهُ وحِكَمِهِ، بل حتى في حروبِهِ وقتالِه (عليه السلام).

وسوفَ نحاولُ أنْ نسلطَ الضوءَ على دُرَرٍ من كلامِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) في وصيتِهِ لولدِهِ الإمامِ الحسنِ (عليه السلام) وما تضمَّنَتْهُ هذهِ الوصيةُ العظيمةُ من الملامِحِ الفريدةِ في التربيةِ على مستوياتٍ عدةٍ سواءٌ على مستوى النفسِ الإنسانيَّةِ في تعامُلِها مع الخالِقِ والمنعِمِ العظيم، أم معَ غيرِهِ تعالى من الخَلْقِ ومحافظتِها على الفطرةِ السليمةِ للإنسانِ، والسيرِ به نحوَ التكامُلِ الروحيِّ والخُلُقِيِّ الذي تبتغيهِ الشريعةُ المقدسةُ.

لقد عشتُ قصةَ العشقِ لهذه الوصيةِ قبلَ عشرينَ عاماً تقريباً، يومَ كنتُ مولعاً بقراءة "نهج البلاغة" وما زلت كذلك، حيث أخذتُ أقرأ هذهِ الوصيةَ عدةَ مراتٍ، فلم أكتفِ بذلكَ حتى كتبتها بيدي رغمَ طولِها، ولكن ذلك لم يزدْني إلا شوقاً وتعلُّقاً، فصرتُ أراجعُ معانيَ كلماتِها، وشروحها، وأكتبُ معاني تلك الكلمات، تمهيداً لشرحِها شرحاً يلائِمُ العاشق لها، ولكنْ لم يكن التوفيق حليفاً لي في تلكِ الأمنية، واليوم وبعد تلكَ السنون

أعودُ لما كنتُ أحاول من قبل، لعلي أشاركُ العلماءَ والمؤلفينَ في الكتابةِ عن تراثِ عَلَمٍ من أعلامِ الإنسانيةِ، وسيدٍ من ساداتِها من أولِ تأريخِها لآخرِه، ذاك علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رغم الإيجاز في ذلك والاختصار على بعضِ الفقراتِ منها، ولكن نأمل أنْ نشرحَ هذه الوصيةَ بالتفصيلِ ونبينَ جميعَ ما يتعلقُ فيها من أسرارٍ وحقائقَ لكي يرى الأجيالُ حقيقةَ وسِرَّ خلودِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) وتراثِهم، حيث أنهم العلاجُ لداءِ الإنسانيةِ التي تشكو منه عبرَ الأزمان، فلا تنفدُ أسرارُ كلامهم، بل تبقى مع الأيامِ خالدة..

لا يسعني إلا الامتنانُ لمركزِ دراساتِ الكوفةِ في جامعَةِ الكوفةِ حيث كان لهم دورٌ في الحثِّ على كتابةِ هذه الصفحاتِ من خلالِ المشاركَةِ في مؤتمرِهم العلميِّ عن نهجِ البلاغة، وكم هي المناسبة كريمة ونحن نستقبل عام (٢٠١٢م) حيث اختيار مدينة النجف الأشرف عاصمة للثقافة الإسلامية..

نسأله تعالى أنْ يتقبل ذلك بأحسن قبوله، ويوفقنا لنشر تراث أهل البيت (عليهم السلام)، إنه سميع مجيب

الكاظمية المقدسة

١٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ

٢٠١١/٢/٢٠م

تمهيد
لمحة تربوية
في القرآن والسنة

تمهيد: لمحة تربوية في القرآن والسنة.

إنَّ تربية الأبناء من المسائل المهمة التي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال تعاليمها وذلك من أجل إيجاد مجتمعٍ إسلاميٍّ متكاملٍ تسوده المودة والمحبة والألفة، ولا يكون ذلك إلا بالجدِّ والاجتهادِ من أجل المحافظة على جميع الروابط التي لها دور في تربية الذات والمجتمع، لذا نرى أنَّ القرآن الكريم بيَّنَ منهجه في التكريم حيث شمل تكريمه العام جميع أفراد البشر ابتداء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [1]، وأما تكريمه الخاص فإنه يكون وفقاً لتربيةٍ خاصةٍ يصل إليها الإنسان بعد مجاهدة نفسه والوصول بها إلى درجة التقوى حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [2]، فالتقوى هي مرحلة من مراحل التكريم الخاص لعباده، ومرحلة من مراحل التربية نحو الكمال والتكامل الإنساني.

ولكي يصل الإنسان إلى هذه المرحلة هناك عوامل عدة لها أثر في ذلك، منها ما يجب على الآباء القيام به تجاه أبنائهم والمحافظة عليهم من كُلِّ ما

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٧٠

[2] سورة الحجرات: الآية ١٣

يُبعدهم عن الصراط القويم والتكامل الذاتي لهم، حيث أنها من مسؤوليتهم إضافة لما يولونهم من الحب والعناية والاهتمام، وقد قدَّمَ أمير المؤمنين (عليه السلام) مثالاً راقياً من أمثلة حب الآباء لأبنائهم والتفاني من أجلهم، حيث يبيِّن ذلك بألفاظٍ ملؤها الحب والحنان والعناية، فيجب علينا ونحن في طور التربية أنْ نجمع بين الحب والحنان وبين التربية الصالحة، حيث أنَّ الحب والعاطفة دون الاهتمام بالتربية الصالحة وطرقها قد يؤدي في الأغلب إلى الانحراف، وخصوصاً في أعمار معينة حيث تكون من أخطر مراحل التربية وهذه المرحلة هي التي أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: ((قلب الحدث)). [1]

---

[1] أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده بقوله (قلب الحدث) ولكننا نعلم أنَّ هذه الوصية كانت منه لولده عند انصرافه من معركة صفين فيكون عمر الإمام الحسن (عليه السلام) أكثر من ثلاثين سنة، ولا يمكن أنْ يكون (حدثاً)؟ فعلينا أنْ نتأمل أنَّ الخطاب ليس بالضرورة أنْ يكون خاصاً بالمخاطب دون غيره، وهذا الأسلوب واضح عند العرب فكثير من خطابات القرآن يكون المخاطب فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد به غيره، فهذه الوصية من هذا النوع من الخطاب فليس هو خاص للإمام الحسن (عليه السلام) بل لكل مسلمٍ مسؤولٍ عن تربية أبنائه يبين له الإمام (عليه السلام) ملامح التربية منذ بداية تلقيه للمعارف (قلب الحدث) إلى أنْ يبلغ مبلغاً من العمر.

فمَنْ يتأمل في كلمات مقدمة هذه الوصية الخالدة يلتمس الأبـــوة العظيمة التي يجب أنْ تكون في الآباء تجاه أبنائهم، فليست الوصية وكلام المعصومين (عليهم السلام) هو خاص في الأفراد المخاطبين، بـــل هـــو درس وعبرة للجميع، فعلى الآباء والمربِّين أنْ يتأمَّلوا في هذه الوصية التي هي بمثابة دستور تربوي متكامل، حيث يقول (عليه السلام): ((مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمَانِ المُدْبِرِ العُمُرِ المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ... وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَـــلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ)).[1]

هذه الكلمات تظهر جزء من حقيقة منزلة الأبناء عند الآباء، وكذا كيفية الحرص الذي يجب أنْ يكون عند الآباء على أبنائهم، فالإسلام كونه نظاماً تكاملياً شاملاً كان له اهتمام بالغ بالفرد والأسرة وللشريعة في ذلك مواقف كثيرة ابتداء من اختيار الزوجة الصالحة التي تكون وعاءً للمولود، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إيـــاكُمْ وخـــضراءَ الدِّمَنْ ؟ قيل: يا رسولَ الله وما خضراءُ الدِّمَنْ ؟ قال: المرأةُ الحـــسناءُ في منبتِ السوءِ))[2]، وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إياكُمْ

---

[1] نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح محمد عبده ٤٢/٣

[2] الكافي، الشيخ الكليني ٣٣٢/٥

وتزوُّجِ الحمقاءِ فإنَّ صُحبتَها بلاءٌ، وولدَها ضياعٌ)) [١]، ثم بيَّن الإسلام أنَّ للمولود بعد ولادته أيضاً من الحقوق الكثيرة ابتداء من اختيار الاسم له قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((حَقُّ الولدِ على الوالدِ أنْ يحسنَ اسمَهُ، ويحسنَ أدبَهُ، ويعلمَهُ القرآنَ)) [٢] وغير ذلك من الروايات التي لها أحسن الأثر في التربية.

من خلال ذلك نرى أهمية الأسرة في الإسلام، فالأسرة كما قيل هي المحيط التربوي الأساس المسؤول عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية ليكون عنصراً فعالاً في إدامتها على أساس الصلاح والخير والبناء الفعال، وهي مسؤولة بالدرجة الأولى عن النشأة والترعرع، ولأهمية الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت (عليهم السلام) أهمية خاصة بها، لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) في هذه الوصية الخالدة يؤكد على كُلِّ المعاني السامية التي لها بالغ الأثر في التربية، لذلك نستمع إليه وهو يخاطب ابنه بقوله: ((فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي))، وفي هذا درس تربوي كبير من جهتي الحب والحنان وما يجب على الآباء من الالتفت إليه بأنَّ الاهتمام بتربية الأبناء هو جزء من اهتمامِ المرء بنفسه، وستظهر آثاره لاحقاً في الدنيا بل تتبعه كذلك في الآخرة، وخير من أكد

---

[١] المصدر السابق ٥/٣٥٣

[٢] ميزان الحكمة، محمد الريشهري ٨/٣٦٧٩

على هذا الحق من بعده (عليه السلام) حفيده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق حيث يقول: ((وأما حَقُّ ولدكَ فأنْ تعلمَ أَنَّهُ منكَ ومضافٌ إليكَ في عاجِلِ الدنيا بخيرِهِ وشرِّهِ، وأنكَ مسؤولٌ عما ولَّيتَهُ مِنْ حسنِ الأدبِ والدلالةِ على ربه والمعونةِ له على طاعته فيك، فاعملْ في أمرِهِ عملَ المتزيِّن بحسنِ أثرِهِ عليه في عاجل الدنيا المعذور إلى ربهِ فيما بينكَ وبينهُ بحسنِ القيامِ عليهِ والأخذِ له منه ولا قوة إلا بالله)).[1]

من خلال ما تقدم كان لنا إطلالة سريعة على بعض الملامح التربوية في هذه الوصية الخالدة والتي تعد من أعظم مناهج التربية الإنسانية والإسلامية التي تضمنتها صفحات هذا السفر العظيم (نهج البلاغة).

وقد قسم الكتاب على مباحث ثلاثة إضافة للمقدمة والتمهيد ثم الخاتمة.

-المبحث الأول: العلاقة بين العبد وربه وأثرها على تربية الذات.

-المبحث الثاني: تهذيب النفس عن مساوئ الأخلاق وأثره على السلوك الفردي.

- المبحث الثالث: العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية.

حيث سيتم في المبحث الأول تناول السبل الكفيلة في تكوين هذه العلاقة وتوثيقها وأثر ذلك من خلال مفردات الوصية ودور ذلك وأثره على

---

[1] الصحيفة السجادية ويليها رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين ص٢٩٧

الفرد حيث أنها أُولى العلاقات وأعظمها كما أشار إلى ذلك الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق.

وأما في المبحث الثاني فسوف نتحدث عن كيفية تهذيب النفس من كُلِّ عوائق تربيتها، وبيان تلك العوائق التي تحول دون وصولها إلى كمالها، وعلاقة هذا المبحث -الوسط- مع المبحثين الأول والثالث.

وأخيراً سيتم بيان كيفية بناء الروابط الإنسانيَّة في المجتمع من خلال بناء العلاقات الصحيحة التي لا تشوبها المصلحة الشخصية أو تتوقف عليها.

إني أظن أنَّ هذه الوصية من غرر الكلم ودرره التي يجب علينا أنْ نشملها بالدراسات التربوية الحديثة لنبيِّنَ بالتالي منهج أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال..

نهج البلاغة والمنهج الإسلامي في الأخلاق والتربية.

إننا عندما نريد أنْ نتحدث عن المعاني الكبيرة التي تتضمنها كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وغيره فإننا نتحدث عن ألفاظٍ ومعانٍ مرادفة للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين، وكذلك إنَّ كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وصنوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل، هي كذلك منهاجاً ودستوراً إنسانياً متكاملاً سواء في السلم أو الحرب، ومع أوليائه أو مع أعدائه، وهذا في الحقيقة هو الخلق والمنهج القرآني، لذا فإنَّ أيَّ كلمة من كلمات قواميس اللغة لا يمكنها أنْ تبين حقيقة هذا القرآن الناطق كما ورد في الروايات، لذا قد حار أعداؤه في كُنهه ووصفه إضافة لمحبيه حيث قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ) في مقدمة شرح نهج البلاغة: ((وما أقولُ في رجلٍ أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكهم جحد مناقبه ولاكتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم، وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أنْ يُسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسمواً، وكان

كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوَّع نشره، وكالشمسِ لاتُستر بالراحِ، وكضوءِ النهارِ إنْ حجبتَ عنه عينٌ واحدة أدركته عيونٌ كثيرة. وما أقول في رجلٍ تُعزى إليه كُلُّ فضيلةٍ، وتنتهي إليه كُلُّ فرقةٍ، وتتجاذبه كُلُّ طائفةٍ، فهو رئيسُ الفضائلِ وينبوعُها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومُجلي حلبتها، كُلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى ...)) [1]، فهذا هو عليٌّ، وتلك هي كلماته في نهجه العظيم، ومن كلماته الخالدة تلك الوثيقة أو الوصية التربوية ..

إنَّ الحديث عن هذا الوصية وما تنطوي عليها من مفاهيم أخلاقية وتربوية متكاملة إنما هو حديث عن مثال إسلامي متكام يُبين للإنسان سبل الهدية والصلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، فالدين هو المنهج الذي يكفل للإنسان سعادته وتحقيق صلاحه وتكامله ولا يمكن تحقيق ذلك بدون الدين إطلاقاً، لأنَّ المشرع لهذا المنهج هو الله تعالى الغني والحكيم المطلق الذي لا يضره شيء في السموات والأرض، بخلاف غيره ممن يَدَّعون أنهم مشرِّعون، فمهما بلغوا من العلو والرفعة فإنهم يبقون من صنف البشر الفقير المحتاج الذي لا يمكنه تحقيق كماله بذاته، وقد جَرَّبت الأمم أنواع الأنظمة التي تَدَّعي أنها المُخَلِّصة لها من شقائها ولكن رأينا ولمسنا فشل تلك النظريات والأنظمة، فإنه لا يتعدى سوى

---

[1] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ٦/١

الخروج من أزمةٍ أو مصيبةٍ والوقوع في غيرها، ولذا يقول الشهيد الصدر (قده) في وصف المشكلة الإنسانية التي تعاني منها البشرية: ((إنَّ مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم، هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في إعطاء أصدقِ إجابةٍ عن السؤال الآتي: ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية ؟ ومن الطبيعي أنْ تحتل هذه المشكلة مقامها الخطير، وأنْ تكون في تعقيدها وتنوع ألوان الاجتهاد في عملها مصدراً للخطر على الإنسانية ذاتها. لأنَّ النظامَ داخلٌ في حساب الحياة الإنسانية، ومؤثر في كيانها الاجتماعي بالصميم. وقد دفعت هذه المشكلة بالإنسانية في ميادينها الفكرية والسياسية إلى خوض جهادٍ طويلٍ وكفاحٍ حافلٍ بمختلف ألوان الصراع، وبشتى مذاهب العقل البشري، التي ترمي إلى إقامة الصرح الاجتماعي وهندسته، ورسم خططه ووضع ركائزه. وكان جهاداً مرهقاً يضج بالمآسي والمظالم، ويزخر بالضحكات والدموع، وتقترن فيه السعادة بالشقاء. كل ذلك لما كان يتمثل في تلك الألوان الاجتماعية من مظاهر الشذوذ والانحراف عن الوضع الاجتماعي الصحيح، ولولا ومضات شعت في لحظاتٍ من تأريخ هذا الكوكب لكان المجتمع الإنساني يعيش في مأساةٍ مستمرةٍ وسبحٍ دائمٍ في الأمواج الزاخرة))[1]، فإنَّ للإنسان دوراً كبيراً في

---

[1] المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر ص١١-١٢

تكوين نوعية المجتمع، حيث أنَّ المجتمع تجمُّع بشري تتكون تشكيلته واتجاهاته من مجموعة أولئك البشر الذين يمثلون مجتمعهم، والإسلام كان رائداً في تحصين الإنسان من كل أنواع الانحرافات وبالتالي كان يهدف إلى إيجاد مجتمع متكامل، وقد وصفت الشخصية الإسلامية وتحديد علاقاتها بعدة أوصاف، حيث ورد في توازن الشخصية: ((اهتم الإسلام كثيراً بعلاقة المسلم مع مجتمعه، فقد حدد في تعاليمه ومناهجه الإلهية الصيغ المطلوبة لهذه العلاقة التي تهدف إلى تعزيز الرابطة الاجتماعية بين المسلمين وصناعة المجتمع الإسلامي المتماسك في علاقاته وأسسه وعناصره، وقد رسم خطاً تصاعدياً في هذا الخصوص يبدأ من الإنسان ثم ينتهي بالمجتمع، فالفرد لا ينفصل في تصرفاته وسلوكه عن المحيط الذي يعيش فيه، فهو وحدته الأساسية وقد تتحول هذه الوحدة إلى عنصر بناءٍ، أو ربما تصبح عامل هدمٍ، وفي كلتا الحالتين يرتبط السلوك الفردي بالحصيلة الاجتماعية للمحيط الذي يعيش فيه)).[1]

إذاً فالإسلام في تشريعاته لم يبتغِ تربية الفرد والذات من أجلها فقط بل من أجل نشر الفضيلة والمكارم في المجتمع الإنساني المتكامل، ولذا ورد عدة كلمات للمربِّين التربويين في ذلك منها قولهم: ((الإسلام ليس

---

[1] التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي ص٥٣

منهج اعتقاد وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية .. وقد جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية يمارس دوره الاجتماعي البنّاء من موقعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته" ... فالقرآن الكريم دستور البشرية الخالدة يمتاز بالشمول والإحاطة الكاملة بجميع شؤون الحياة وقد وضع أُسُساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكل طرفٍ حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق وإشاعة الودّ والحبِّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني ... ومن حقوق المجتمع على الفرد أنْ يقوم بواجب الإصلاح والتغيير للحفاظ على سلامة المجتمع من الانحراف العقائدي والاجتماعي والأخلاقي)).[1]

فالإسلام أراد أنْ يخلِّص البشرية من كُلِّ هذا العناء والشقاء وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في كثير من آياته المباركة، ومن أوضحها قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾[2] والغَدَق أي الغزير[3]، وفي ذلك كناية عن العطاء الرباني الكبير واللامحدود من النِّعَمِ على الإنسان الذي يتمسك بهذا المنهج، حيث نعلم أنَّ الإنسان يحاول أنْ

---

[1] آداب الأسرة في الإسلام، السيد سعيد كاظم العذاري ص١١٣

[2] سورة الجن: الآية ١٦

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص٣٧٢ (غدق).

يتعرَّفَ على كُلِّ شيء ويحصل على كل ما يريده، وهذا ليس أمر مستحيلاً لو اطمأنَّ الإنسان بأنه يعتمد في مشروعية متطلباته على الله تعالى الذي لا يقف أمام عطائه شيء أو حد، يصف الشيخ "محمد مهدي الآصفي" هـذا الشعور عند الإنسان بقوله: ((فالدين إذن هو المجال الطبيعـي الملائـم لاهتمامات الإنسان وتطلعاته وطموحه المتناهي والمتسامي، ولاشيء في هذا الكون يستطيع أنْ يحلَّ محلَّ الدين في حياة الإنسان في إرضاءِ طموحهِ واهتماماته وضميره ولا شيء يستطيع أنْ يحقق شخصية الإنسان وكمالـه الإنساني الخاص به وقيمته الحقيقية في هذا الكون كالدين والإيمان بـالله سبحانه وتعالى)).[1]

وهذه حقيقة لا يمكن للإنسان أنْ يتعالى عليها لو رجع إلى الفطرة السليمة التي جُبِل عليها أو أي دينٍ يؤمن به لأنَّ المفروض بالدين أو بمَـنْ يريـد تشريعُ نظامه أنْ يصبو إلى تهذيبِ الإنسان والوصول إلى كماله، وقد أكـد ذلك عدد من الفلاسفة الغربيين كذلك، فمثلاً يذكر الشيخ "الآصفي" في هذا المجال: ((ويقول ريموندبيج "ليس في مقدورِ الإنـسانِ أنْ يـسلكَ طريقاً إلى الفضائل الأخلاقية بمعزلٍ عن الدين والأخلاق من دون ديـن جسد بلا روح" "ومن دونِ الدينِ لا قيمةَ للأخلاق، ومن دونِ الدينِ تتحول الأخلاق إلى محاسبة جافة، ويزل الإحـساس بالمـسؤولية" "ويقـول

---

[1] ينظر: دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي ص١٨٣

ديويدهيوم: فإنَّ الإيمان بالله هو منطلق كل الفضائل والغايات السامية في حياة الإنسان، ومبدأ كل الفضائل الأخلاقية والإنسانية")). [١]

إنَّ المنهج التربوي الإسلامي يمتاز عن غيره من المناهج الأخرى مما يُضمن فيه النجاح والابتعاد عن الشقاء لأنه لا يعتمد المصدر الإنساني وجهده الذي هو في معرض الخطأ وحب الذات بل يعتمد مصادر فوق ذلك بكثير حيث الكمال فيها والتكامل وهي:

- أولاً: القرآن الكريم، حيث هو المصدر الأول الذي يستمد الباحث التربوي الإسلامي نظرياته ومعانيه وأفكاره منه.

- ثانياً: السنة النبوية الشريفة، والتي تمثل المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في كُلِّ مجالاته من حيث التأكيد على الأسس العظيمة لمناهج التربية الإسلامية.

- ثالثاً: نصوص الأئمة (عليهم السلام) والتي هي امتداد لأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تجلت فيها المعاني السامية لسيرة الأئمة على مدى أكثر من قرنين تستمد الأمة من عطائهم وتراثهم حتى غدا كنزاً عظيماً من كنوز العلم والمعرفة يرجع إليها الباحث التربوي الإسلامي في مجالي النظرية والتطبيق للمناهج التربوية. [٢]

---

[١] ينظر: المصدر السابق ص١٨٤

[٢] ينظر: التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مدن ص٣٣

فهذا هو المنهج الإسلامي وإنَّ نهج البلاغة قد تضمَّن كثيراً من المفاهيم الإنسانية الإسلامية العظيمة التي لها دور كبير في سعادة البشرية وبيان أفق العلاقات الخاصة والعامة في شتى نواحي الحياة، وهذه الوصية المباركة هي جزء من تلك المعاني الكبيرة التي اشتملها عليها هذا السفر الخالد في التأريخ الإنساني والفكري والثقافي.

المبحث الأول
العلاقة بين العبد و ربه
و أثرها على تربية الذات

المبحث الأول: العلاقة بين العبد وربه وأثرها على تربية الذات.

بعد أنْ بينا فيما تقدم مميزات المنهج التربوي الإسلامي عن سواه نحاول في هذا المحور من البحث أنْ نسلط الضوء على بعض المفردات التي تضمنتها هذه الوصية الخالدة والتي لها دور أساس في تربية النفس الإنسانية والحفاظ على العلاقة الوثيقة بين الإنسان وخالقه بحكم الفطرة السلمية التي لم تلوِّثها الأهواء والشكوك والظنون، وهذه المفردات السامية تتضمن في الفقرة التالية إجمالاً حيث قال (عليه السلام): ((فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله أَيَّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الله إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِه)).

فهذه مقدمة لأمر عظيم وهو الاهتمام بالقلب وتهذيبه عن الرذائل وكل ما يطفيء نور الفطرة والمحافظة عليه، وهذا لا يكون إلا باللجوء إلى الله تعالى وتقواه في السر والعلانية، وإنَّ الوصول إلى ذلك هو مدخل لتهذيب النفس وإيجاد العلاقة الجديدة الوثيقة مع الله تعالى، لذا فالإمام (عليه السلام) يوصي ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالمحافظة على هذا القلب من أعدائه في الظاهر والباطن فيبيِّن له صلاح هذا القلب من خلال فقرات عدة لها دور بالغ في هذا المجال، ولها أثر نافع في التربية النفسية وتهذيبها من أمراض حُبِّ الدنيا والانغماس فيها، وهذه الفقرات التي تناولت هذه العلاقة هي ثلاث، نحاول تسليط الضوء عليها إجمالاً؛ لنكون على بينة من هذه الدروس التربوية للذات في سلوكها مع الله تعالى.

أولاً: تقوى الله. (فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيَّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ)

إنَّ الإمام علياً قد أشار إلى التقوى في كثير من خطبه وكلماته سواء في نهج البلاغة أو غيرها، بل حتى في هذه الوصية الخالدة فقد أشار إليها في موارد عدة، حيث يقول بعد ذكر جملة من الوصايا: ((وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ...)) فهذه من أعظم المنازل التي يجب علينا الوصول إليها وطالما قد مدحها الله تعالى في كتابه المجيد من حيث المعية لله تعالى هذا الصنف قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [١]، أو حُبّه تعالى لهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، أو من حيث انحصار قبول الدعاء فيهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٣] وغيرها من الآيات التي تبين مقامهم.

إنَّ تقوى الله تعالى من أعظم الصفات التي يجب على المؤمن أنْ يصل إليها. والتقوى كما في "المفردات": ((جعل النفس في وقاية مما يخاف، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحضور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي الحلالُ بَيِّنٌ، والحرامُ

---

[١] سورة التوبة: الآية ٣٦

[٢] سورة التوبة: الآية ٧

[٣] سورة المائدة: الآية ٢٧

بَيِّنٌ، ومَنْ رتعَ حول الحمى فحقيق أنْ يقع فيه)). [١] وهذا المصطلح أو هذا الصنف من الناس كان مورد عناية الشريعة المقدسة في جوانب عدة كما هو ظاهر من آيات القرآن الكريم، وفي ذلك يقول السيد "عبد الأعلى السبزواري" (قده) في تفسيره: ((والمتقين من الاتقاء، والاسم التقوى ومعناها الحجز والمنع، وهي من أعلى الصفات التي اعتنى بها الله تبارك وتعالى، كما أنها من أجلِّ المقامات الإنسانية وأرفعها، والتقوى تدور مدار الإيمان والعمل الصالح ... والتقوى فوق الإيمان بدرجة وقد وردت جملة من الأخبار فعن الرضا (عليه السلام) "الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من التقوى")). [٢]

فالتمسك والوصول إلى هذه المنزلة هو من المطالب القرآنية العظيمة، والأحاديث الشريفة قد أكدت على ذلك من خلال كثير من الروايات المباركة وذلك لأهميته وعظمته وما فيه من الآثار على النفس، فقد ورد من آثار التقوى أنها حصن للمتقين من الوقوع في المحرمات فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أمنعُ حصونِ الدين

---

[١] ص٥٥٤ مادة (وقى).

[٢] ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/٦٣

التقوى))[١]، وأنها مفتاح الصلاح والخير كما ورد عنه (عليه السلام): ((سببُ صلاحِ الإيمان التقوى))[٢]، وأنها مفتاح الهداية كما ورد عنه (عليه السلام): ((مَنْ غرسَ أشجار التقى جنى ثمار الهدى))[٣]، وأنها شرف الآخرة كما ورد فيها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((شرفُ الدنيا الغنى، وشرفُ الآخرةِ التقوى))[٤]، وأنها داء القلوب والعروة الوثقى ومورد قبول الأعمال وبها المخرج من كُلِّ عسرٍ وغيرها من الآثار.[٥]

وخير ما ورد في عظيم هذه المنزلة وصفات أصحابها ما ورد في خطبة أمير المؤمنين في "صفات المتقين" فإنَّ فيها من المعاني ما لا تدرك حقيقة وصفه الأقلام ...[٦]

---

[١] غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد محمد الآمدي، الحكمة رقم (٥٨٨٨)

[٢] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٥٩١١)

[٣] ميزان الحكمة ٣٦٢٨/٨

[٤] المصدر نفسه ٣٦٣٠/٨

[٥] للتفصيل يراجع ميزان الحكمة ٣٦٢٣/٨

[٦] يراجع الخطبة (١٨٨) في "صفات المتقين" والتي أولها: (أما بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعته، آمناً من معصيته).

ثانياً: عمارة القلب. (وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ)

في هذا المقطع من الوصية المباركة نرى ثلاث كلمات هي (العمارة) و(القلب) و(ذكر الله)، ولكُلِّ كلمة معنىً كبيراً وعظيماً ينطوي فيها لمَنْ يتأمل ويتدبر ذلك، حيث يريد الإمام (عليه السلام) لولده أنْ يكون بناءه بناءً رصيناً باعتماده الأسس القوية التي لا تنهار أمام أدنى بلاء أو اختبار في ساحة الجهاد الأكبر للإنسان مع النفس [1]، فيتغلب عليها لتكون أسيرة طَوْعَ أسره وأمره في كل آنٍ، فإنَّ هذا الدور له أثرٌ كبيرٌ على إيجاد العلاقة الوثيقة بين العبد وربه حيث لا يكون القلب عامراً ما لم يكن مطمئناً، وهذا لا يكون إلا بذكره تعالى في كُلِّ أحواله، حيث لا يرى شيء إلا ويرى الله تعالى فيه موجود حاضر، فلا يغيب الله تعالى عنه آناً فيكون العبد بين يديه دائماً وتحت رعايته أبداً، ولذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [2]، وأما مَنْ يكون الذكر عنه غائباً أو معرضاً عنه فإنه يعيش حياة الذل والهوان والافتقار إلى

---

[1] فقد ورد في الحديث الشريف أنَّ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما جاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عندما خاطب سرية رجعوا من الجهاد فقال: ((مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس)). وسائل الشيعة، الحر العاملي ١٥/١٦٣

[2] سورة الرعد: الآية ٢٨

الراحة النفسية من خلال هموم طلب اللذات والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2] وغيرها من الآيات المباركة، فهذه مرحلة مهمة من مراحل تربية النفس للحفاظ عليها من الزلل يريد أنْ يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك ورد عند تفسير هذه الآية المباركة: ((الذكر كما يقول الراغب في مفرداته حفظ المعاني والعلوم ويستعمل الحفظ للبدء به، بينما الذكر الاستمرار فيه، ويأتي في معنىً آخر هو ذكر الشيء باللسان أو القلب، لذلك قالوا إنَّ الذكر نوعان (ذكر القلب) و (ذكر اللسان) وعلى أية حال ليس المقصود من الذكر -في الآية أعلاه- هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسبيحه وتهليله وتكبيره، بل المقصود هو التوجه القلبي له وإدراك علمه، وبأنه الحاضر والناظر، وهذا التوجه هو مبدأ الحركة والعمل والجهاد والسعي نحو الخير وهذا سدٌّ منيعٌ عن الذنوب)).[3]

إذاً فليس المراد بالذكر كما يفهمه بعضٌ أنه مجردُ أذكارٍ ترد على اللسان بل هو أعمق من ذلك وأدق، وقد ورد هذا المعنى في وصية النبي

---

[1] سورة طه: الآية ١٢٤

[2] سورة الزخرف: الآية ٣٦

[3] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢٩٣/٧

(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) حيث يقول: ((يا عليُّ ثلاثٌ لاتطيقها هذه الأمة: المواساةُ للأخِ في مالِه، وإنصافُ الناسِ من نفسِه، وذكرُ الله على كُلِّ حالٍ، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يُحَرَّمُ عليه خافَ اللهَ عزوجل عنده وتركَهُ))[1]، وإنَّ الإمام (عليه السلام) يدرك حقيقة هذا الأمر وأثره في العلاقة مع الله تعالى لذا نراه يؤكد في وصيته بالمحافظة على الذكر لعلمه ما لمقام الذاكرين، حيث ورد أنَّ للذكر ثمرات كثيرة تضمنتها الروايات عن المعصومين (عليه السلام) ولأهمية ذلك نذكر بعضاً من ثمرات الذكر:

١- **إنه مفتاح الصلاح:** كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أصلُ صلاحِ القلبِ اشتغالُهُ بذكرِ الله)).[2]

٢- **إنه حياة القلوب:** كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَنْ ذكرَ الله سبحانه أحيا اللهُ قلبَهُ ونوَّرَ عقلَهُ ولُبَّهُ)).[3]

٣- **إنه قوت النفوس:** كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ذِكْرُ اللهِ قوتُ النفوسِ ومجالسةُ المحبوبِ)).[4]

---

[1] المصدر السابق.

[2] غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة رقم (٣٦٠٨)

[3] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٣٦٤٥)

[4] ميزان الحكمة ٩٦٩/٣

٤- إنه نور القلوب: كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((دوامُ الذكرِ ينيرُ القلبَ والذكرَ)).[١]

٥- إنه جلاء القلوب: كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إنَّ الله سبحانه جعلَ الذكرَ للقلوبِ، تسمعُ بـه بعد الوقرةِ، وتبصرُ به بعد العشوةِ، وتنقادُ به بعد المعاندةِ)).[٢]

٦- إنه شفاء القلوب: كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):((عليكُمْ بذكرِ الله فإنهُ شفاءٌ، وإياكُمْ وذكرَ الناسِ فإنهُ داءٌ)).[٣]

٧- إنه مفتاح الأُنس: كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ذكرُ الله ينيرُ البصائرَ ويؤنسُ الضمائرَ)).[٤]

٨- إنه مطردة للشيطان: كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ذكرُ الله رأسُ مالِ كُلِّ مؤمنٍ، وربحُهُ السلامة من الشيطان)).[٥]

٩- إنه أمان من النفاق: كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَنْ أكثرَ ذكرَ الله فقد بريءَ من النفاقِ)).[٦]

---

[١] المصدر السابق.

[٢] نهج البلاغة الخطبة (٢١٧)

[٣] ميزان الحكمة ٣/٩٧٠

[٤] غرر الحكم، الحكمة رقم (٣٦٤٠)

[٥] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٣٦٢١)

[٦] ميزان الحكمة ٣/٩٧١

١٠ - إنَّ ثمرته الحب: كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ أكثرَ ذكرَ الله أحبَّهُ)). [1]

فتلك عشرة كاملة من آثار ذكر الله وأثره على عمارة القلب، وإحياء النفس وتربيتها وتزكيتها، لذا ورد في الدعاء: (يا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ للذّاكِرينَ)، فهذه أهم آثار مداومة الذكر التي يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، وما لها من الأثر التربوي على الذات.

---

[1] المصدر السابق.

ثالثاً: الاعتصام بحبل الله. (وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِه)

في هذا المقطع يؤكد الإمام (عليه السلام) أيضاً -كما سبق- على أمر عظيمٍ آخرٍ له دور في مراحل التكامل النفسي والروحي للإنسان وهو الاعتصام بحبل الله تعالى، فيُبين أنَّ هذا التمسك هو من أقوى سبل الارتباط بالله تعالى وما فيه من الآثار على العبد.

فالاعتصام والتمسك بحبل الله هو السبيل للهداية الإنسانية، وحبل الله كما ورد عن "الراغب" في "المفردات" قوله: ((فحبله هو الذي معه التوصُّلُ به إليه من القرآن والعقل، وغير ذلك مما إذا اعتصمتَ به أدّاكَ إلى جواره)) [1]، ولمعرفة مراده (عليه السلام) من (حبل الله) يمكن أنْ نرجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [2]، فهناك علاقة بين هذا المقطع من الوصية والآية المباركة، يقول العلامة "الطبرسي" في تفسيره: ((والحبلُ السببُ الذي يوصِلُ إلى البُغية، كالحبلِ الذي يتمسكُ به للنجاةِ من بئرٍ أو نحوها، ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة ... ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ﴾ أي تمسكوا به، وقيل امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال أحدها: إنه القرآن عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدى ويروى ذلك مرفوعاً. وثانيها: إنه دين

---

[1] ص١١٢

[2] سورة آل عمران: الآية ١٠٣

الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد. وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال نحن حبل الله الذي قال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾، والأولى حمله على الجمع، والذي يؤيد ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "أيها الناس إني قد تركت فيكم حَبْلَين إنْ أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض")). [1]

إذاً فيمكن أنْ نعرف إرادته (عليه السلام) من ذلك الحبل الذي أوصى بالاعتصام به، حيث أنَّ وصيته هي وصية الله تعالى في كتابه، وإنَّ استعماله لهذا المقطع المماثل للآية الكريمة فيه غاية البُعد والدقة على اقتران العترة بالقرآن الكريم، وللبلاغيّين كلام لطيف في بيان الإعجاز البلاغي لألفاظ القرآن الكريم ومنه هذه الآية المباركة، حيث ورد: ((الاعتصام الالتجاء والتمسك وأنَّ معتصم بفلان، ومستعصم به، ومعتصم بحبله، ونحن في عصمة الله، وكل ما عصم به الشيء أي: حفظ وصين فهو عصام، وللعين والصاد- إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة- خصائص لغوية رائعة، منها تدلان على الشدة والمنعة وما هو بمعناهما من الحفظ والتأبي ... الاستعارة التمثيلية في الاعتصام بحبل الله، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على

---

[1] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٣٥٢- ٣٥٦

حمايته بحال مَنْ يمسكُ بحبلٍ وثيقٍ وقد تدلى من مكان عالٍ، فهو آمنٌ من انقطاعه وانبتاته، وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يُخلق عن كثرة الرد، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به رشد، ومَنِ اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم)).[1]

فهذا نزر يسير من سر استعمال الألفاظ الدقيقة في هذه الوصية الخالدة المباركة، إضافة إلى ذلك فقد أكدت كثير من الروايات المباركة على عظمة الاعتصام بالله وآثاره، ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَنِ اعتصمَ بالله نجّاه))[2]، وقوله: ((مَنِ اعتصمَ بالله لم يضرُّه الشيطانُ))[3]، وقوله: ((اعتصمْ في أحوالك كلها بالله، فإنك تعتصم منه سبحانه بمانعٍ عزيزٍ)).[4]

فهذه من أهم آثار الاعتصام بالله تعالى بالنسبة للإنسان.

إنَّ هذه الأمور الثلاثة التي مضت (تقوى الله، عمارة القلب بذكر الله، والاعتصام بحبل الله) هي من أعظم المفردات التي تترجم المبادئ السامية في القرآن الكريم، حيث إنَّ الانطلاق نراه يكون من كتاب الله تعالى

---

[1] ينظر: إعراب القرآن، محي الدين الدرويش ١/٤٩٤ - ٤٩٧

[2] غرر الحكم، الحكمة رقم (٣٩٢١)

[3] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٣٩٢٢)

[4] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٣٩٢٠)

وإليه، لأنّنا به نصل إلى النجاة والصراط المستقيم بعد معرفته المعرفة الحقيقية التي تتمثل بكلام أئمة المسلمين (عليهم السلام) الذين هم عدله.[١]

فهذا المقطع من الوصية الخالدة هو ترجمان لقوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾.[٤]

إذاً فهذه المفردات لها أثر بالغ في العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على السلوك والتربية النفسية لأنَّ الإنسان إذا وصل إلى تلك المنزلة العظيمة (التقوى) وقام بإعمار القلب بذكره واعتصم بحبل الله وتوكَّل وألجأ أمره إليه لا لسواه كان بذلك على منزلة رفيعة من سموٍّ النفس وعلوِّها وتذللها بين يدي الله تعالى، وهذا ما يريد أنْ يؤكد عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع وهذا ما حاولنا بيانه بهذه العجالة في المحور الأول من بحثنا المتواضع.

---

[١] إشارة إلى حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً).

[٢] سورة النحل: الآية ١٢٨

[٣] سورة الرعد: الآية ٢٨

[٤] سورة آل عمران: الآية ١٠٣

المبحث الثاني
تهذيب النفس و أثره
على السلوك الفردي

المبحث الثاني: تهذيب النفس وأثره على السلوك الفردي.

إنَّ لتهذيب النفس مناهج متعددة يختلف بعضها عن بعض، وأفضل تلك المنهج هو المنهج القرآني الذي يعتمد الجانب المادي والروحي للإنسان والذي مصدره الخالق الحكيم الأعرف بمصالح العباد وما ينفعهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من آياته المباركة، ومنها قوله تعالى بعد عدةٍ أقسامٍ يقسمُ بها في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [1]، حيث جعل تزكية النفس وتطهيرها طريق الفوز والفلاح، فمَنْ يبحث عن الفلاح عليه بتزكية نفسه، ومعرفة الحقيقة التي تنطوي فيها من أسرارٍ ومواهب لاتحصى، فتزكية النفس وتهذيبها هو سبيل المؤمنين الذين يبغون الوصول إلى الله تعالى عن طريق هذا الجهاد الأكبر.

وفي هذه الوصية المباركة الخالدة ملامح هذا الطريق أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يبين ذلك من خلال المقطع الآتي: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ).

---

[1] سورة الشمس: الآيات ٧ – ١٠

فلو تأملنا في هذا المقطع من الوصية لرأينا أنه (عليه السلام) يؤكد على القلب وما تنطوي فيه من حقائق ومعارف إلهيـــة، إضـــافة للفطـــرة السليمة التي فطر الله عليها عباده، فهو بمثابة جوهرة ثمينـــة تحتـــاج إلى المحافظة عليها مما يؤثر في صفاتها وبريقها، وآفة ذلـــك حـــب الـــدنيا والابتعاد عن الله تعالى.

ولتحصين القلب مما يبعده عن طهارته وسلامته يبيِّن الإمام (عليه السلام) عشرة أمور لها دور أساس في ذلك، وبالتالي لهـــا دور كبـــير في تهذيب النفس والحفاظ على كُنهها، وأثر ذلك على سلوك الإنسان النظري والعملي. وهذه الأمور العشرة التي تضمنتها الوصية بهذا المقطـــع هـــي أبواب إلى القلب يجب علينا أنْ نُحكمها لتكون حصناً حـــصيناً للقلـــب، وهذه الأبواب هي:

- **أولاً:** الموعظة فإنَّ فيها حياة القلوب.
- **ثانياً:** الزهد فإنَّ فيه موت القلب عن الشهوات واللذات المحرمة.
- **ثالثاً:** اليقين فإنَّ فيه قوة القلب أمام كل حادثة.
- **رابعاً:** الحكمة فإنَّ فيها نور القلب لرؤية حقائق الأشياء.
- **خامساً:** الموت فإنَّ بذكره يتذلل القلب ولا يصيبه الغرور بما يملك.
- **سادساً:** الإقرار بالفناء فإنَّ فيه اليأس من طمع الخلود في الدنيا ولذاتها وكل شيء إلى الهلاك مصيره.

- **سابعاً:** البصيرة فإنَّ فيها للقلب معرفة حقيقة الدنيا وزوالها.

- **ثامناً:** الحذر فإنَّ فيها للقلب أمان من الغفلة.

- **تاسعاً:** العبرة فإنَّ فيه للقلب تذكرة واعتبار بمن مضى.

- **عاشراً:** التذكرة فإنَّ فيه للقلب يقظته من أيِّ سهو أو غفلة.

فهذه من أعظم الأبواب للقلب ويجب علينا أنْ نراعيها شدة الرعاية لأنَّ الغفلة عن واحد منها قد يؤدي بالقلب إلى هلاكه وبُعده عن الله تعالى، فالقلب كما قال العلماء هو المرأة الصافية التي تعكس أنوار الله تعالى فيه ومنه، ويقول الشيخ "محمد مهدي النراقي" (قده) في كتابه القيم "جامع السعادات": ((فالرحمة الإلهية بحكم العناية الأزلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على أحد، لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآة القلب وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية، ومع تراكم صدئها الحاصل منها لا يمكن أنْ يتجلى فيها شيء من الحقائق)).[1]

ولنطرق هذه الأبواب باباً بعد آخر لنعرف ما تنطوي فيه من معارف وحقائق تنفع الإنسان في هذه الدنيا وتوصله إلى الفَلاح أكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد في وصيته الخالدة التي ملأت علماً وحكمة كما هو شأنه (عليه السلام)، إذ إنه يشير إلى أنَّ كلماته هذه قد جمعت أخبار وتجارب الأمم التي مضت ويجب علينا أنْ نتعظ من

---

[1] ١/٤٤

أحوالهم لأحوالنا لتكون لنا درساً نافعاً يغنينا عن التجارب والوقوع في أخطاء الماضيين، ولذا يقول (عليه السلام): ((أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ))، فهذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) يبحث عن نجاة الإنسان من الغرق في هذه الدنيا، التي هي بحر عميق مظلم يحتاج الإنسان إلى مَنْ يرشده إلى الهدى، ويدلُّه على الصراط.

أولاً: الموعظة. (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ)

إنَّ الموعظة لها دور وكبير وفاعل في إحياء القلب وتذكيره بالفضائل ومحاسن الأخلاق، وقد وردت روايات عدة في أثر الموعظة ودورها في تصحيح سيرة الإنسان وسلوكه، ولذا قال المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] ((الوعظ والموعظة كما جاء في المفردات هو النهي الممتزج بالتهديد، إنَّ معنى الموعظة أوسع من هذا ظاهراً، نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في نفس كتاب المفردات أنَّ الموعظة عبارة عن تذكير بالنعم والطيبات المقترن برقة القلب، وفي الحقيقة فإنَّ كُلَّ نصحٍ وإرشادٍ يترك أثراً في المخاطب ويخوِّفه من السيئات ويرغِّبه في الصالحات يسمى وعظاً وموعظة، وطبعاً ليس معنى هذا أنَّ كل موعظة يجب أنْ يكون لها تأثير بل إنها تؤثر في القلوب المستعدة)). [2]

والموعظة في الحقيقة هي النصح والنصيحة للآخرين من خلال الكلمة الطيبة النافعة، بل هي كما ورد في الحقيقة: ((إحسان إلى مَنْ تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له، وعليه فهي إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة، يتلطف الناصح في بذل النصيحة غاية

---

[1] سورة يونس: الآية ٥٧

[2] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٦/٢٦٠

التلطف، ويتحمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض، وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرته، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح)). [1]

فالإنسان بذلك يجب عليه أنْ يكون واعظاً وناصحاً لنفسه وللآخرين لأنَّ ذلك ينبع عن الحب والرحمة والإحسان، وقد أكَّد الإسلام على هذه المفردات الإنسانية التي لها دور في الإصلاح والتربية للنفس والمجتمع.

يقول الشيخ "محمد مهدي الآصفي" عند بيانه لمفهوم النصيحة في القرآن: ((إنَّ النصيحة من المفاهيم الأخلاقية العظيمة والتي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال القرآن والسنة الشريفة لما لها دور في التكامل النفسي والاجتماعي فقوله "عليه السلام" لولده الحسن "عليه السلام": (فإني لم آلك نصيحة وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك -وإن اجتهدت- مبلغ نظري لك) فهو بذلك يؤكد المنهج القرآني -وهو ربيبه- في النصيحة، والتي هي

---

[1] ينظر: الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء ص١٤ ، للتفصيل يراجع المصدر ففيه بيانٌ وافٍ عن النصيحة في الفقه والأخلاق وأثرها.

من أولى أهداف الأنبياء والمرسلين في المجتمع، حيث قال تعالى على لسان نبيه: "أبلغ رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين")). [1]

ويقول أيضاً في تعليقه على هذه الآية المباركة وما يتعلق بالتحليل العلمي لكلمة النصيحة: ((يصعب إعطاء تحليل علمي لهذه الكلمة لأنه لم يسبق لهذه الكلمة في الدراسات الإسلامية تحليل وتحديد علمي دقيق يمكن اعتماده رغم أهمية هذه الكلمة، ودورها الواسع في شبكة العلاقات الإنسانية في الإسلام، وعليه [بعد بيانه لكلمات المفسرين للنصيحة] فتتألف النصيحة من جملتين تكاد تتفق عليها كلمات المفسرين وعلماء اللغة هما:

١- تحرّي الخير والصلاح للآخرين، وإرادة الخير لهم في القول والعمل، وتنظيم العلاقة معهم على هذا الأساس.

٢- تخليص العلاقة والتعامل مع الآخرين من كل شائبة سوء، وتمحيص النصيحة في العلاقة والتعامل.

وهذا التخليص والتمحيص يقع في مقابل (الغش) وهو أنْ يتظاهر الإنسان بالنصيحة للآخرين في تعامله معهم في الوقت الذي يستبطن هذه العلاقة نية السوء والشر وتسمى هذه الحالة عادة بالغش)). [1]

---

[1] ينظر: في رحاب القرآن / الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي. ص١٢٧- ١٢٩

والروايات الشريفة التي أكدت على النصيحة والحث على التمسك بها كثيرة، نذكر منها ما ورد عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّ أعظمَ الناسِ منزلةً عندَ الله يومَ القيامةِ أمشاهُمْ في أرضهِ بالنصيحةِ لخلقِهِ)) [٢]، وعن سفيان بن عينية قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): ((عليكَ بالنصحِ لله في خلقِهِ، فلن تلقاهُ بعملٍ أفضلَ منه)) [٣]، وقد أكد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في "رسالة الحقوق" على حق الناصح والمستنصح وكيف يجب أنْ يكون دور النصيحة بينهما حيث يقول: ((وحقُّ المستنصحِ أنْ تؤدِّي إليه النصيحةَ، وليكنْ مذهبُكَ الرحمةَ له والرفقَ به. وحقُّ الناصحِ أنْ تلينَ له جناحَكَ وتصغي إليه بسمعِك، فإنْ أتى بالصوابِ حمدتَ اللهَ عز وجل، وإنْ لم يكنْ وُفِّقَ رَحِمْتَهُ ولم تتهمْهُ، وعلمتَ أنه أخطأ ولم تؤاخذْهُ بذلك، إلا أنْ يكونَ مستحقاً للتهمةِ، فلا تعبأ بشيءٍ من أمرِهِ على حالٍ ولا قوةَ إلا بالله)). [٤]

---

[١] ينظر: المصدر السابق.

[٢] وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١/ ٥٩٥

[٣] الكافي ٢/١٦٤

[٤] ص٣٠٩

ومن الروايات التي وردت في كون الموعظة حياة القلوب قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((المواعظُ حياةُ القلوبِ)) [١]، وقال (عليه السلام): ((المواعظُ صقالُ النفوسِ، وجلاءُ القلوبِ)). [٢]

ومن أهم آثار الموعظة أنها تُعد رادعاً للإنسان في كثيرٍ من المواقف عن ركوب الشهوات والمحرمات، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَنِ اتَّعظَ بالعِبَرِ ارْتَدَعَ)). [٣]

ومن أراد الموعظة الكاملة الشاملة فعليه بكتاب الله تعالى لما فيه من القصص والآثار التي تعد كلها مواعظ وحكم لمَنْ تأمَّل وتدبَّر، كما روي في ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((أصدقُ القولِ، وأبلغُ المواعظِ، وأحسنُ القصصِ، كتابُ الله)). [٤]

ونختم ما ورد في الموعظة وآثارها وأثرها في النفس بموعظة من أعظم المواعظ وأنفعها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريباً أو عابرَ سبيلٍ، واعْدُدْ نفسكَ في الموتى، وإذا أصبحتَ فلا تُحَدِّثْ نفسكَ بالمساءِ، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نفسَكَ

---

[١] غرر الحكم، الحكمة رقم (٤٥٢٣)

[٢] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٤٥٢٤)

[٣] المصدر نفسه، الحكمة رقم (١٠٧٩٥)

[٤] ميزان الحكمة ٣٥٧٧/٨

بالصباحِ، وخُذْ من صحتِكَ لسُقْمِكَ، ومن شبابِكَ لهَرَمِكَ، ومن حيـــاتِكَ لوفاتِكَ، فإنك لا تدري ما اسمُكَ غداً)).[1] فما أعظمها من وصية للنفس في كفِّها عن الغرور وقناعتها بالتواضع.

إذاً فهذا إيجـــاز لأثر الموعظـــة والنصيحة على القلب كما أوصى بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث جعلها حياة للقلب ولذا ورد لفظ (أحيي) ففيه تأكيد على أنَّ حياة القلب يكون بالموعظة وموتـــه وقـــسوته يكون بالإعراض عنها.

---

[1] المصدر السابق ٨/٣٥٨٧ ، وقد عقد مؤلف ميزان الحكمة باباً في الموعظة وآثارهـــا يمكن الاطلاع عليه لمن أراد التفصيل فيه من الأحاديث ما يؤكد عظمتها وآثارها.

ثانياً: الزهد. (وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ)

إنَّ الزهد عن الدنيا وما فيها من لذات وشهوات زائلة يُعد أيضاً من موارد الحفاظ على سلامة القلب وتهذيب النفس، ولذا يطلب الإمام أن يميت القلب بالزهد فلا تغتر بزخرف الحياة الدنيا فتلوَّث تلك النفس المطمئنة، وقد أكدت الشريعة المقدسة في نظامها المتكامل على هذا الأمر من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [١]، وقد ترجَّم أمير المؤمنين (عليه السلام) حقيقة الزهد حول هذه الآية في رواية بقوله: ((الزهد كله بين كلمتين في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومَنْ لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)) [٢]، وفي الرواية عن ((حفص بن غياث قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) جعلت فداك فما حد الزهد في الدنيا ؟ فقال قد حدَّهُ الله في كتابه فقال عزوجل: لِّكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ")). [٣]

---

[١] سورة الحديد: الآية ٢٣

[٢] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٨/٥٠

[٣] الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ١٩ / ١٧٦

إذاً فالزهد هو عدم الندم على ما مضى من شيء وخصوصاً ما يتعلق بلذات الدنيا، وكذا عدم الفرح والسرور بما سيأتي بل التسليم المطلق لله تعالى.

ومن الروايات التي امتدحت الزهد وبينت أثره على الإنسان قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من الزهدِ في الدنيا)) [١]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): ((يا عليُّ إنَّ اللهَ قد زَيَّنك بزينةٍ لم تُزَيَّنِ العبادُ بزينةٍ أحبَّ إلى الله منها، زَيَّنَكَ بالزهدِ في الدنيا، وجعلَكَ لا ترزأ منها شيئاً، ولا ترزأ منك شيئاً)). [٢]

ولكي نعرف حقيقة الزهد لئلا يختلط على الإنسان مفهومها بالرهبانية وغيرها يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الزهادةُ في الدنيا ليست بتحريمِ الحلالِ وإضاعَةِ المالِ، ولكن الزهادةُ في الدنيا أنْ لا تكونَ بما في يديكَ أوثقَ منكَ بما في يدِ الله، وأنْ تكونَ ثوابُ المصيبةِ إذا أنت أُصِبْتَ بها أرغبَ منكَ فيها لو أنها أُبْقِيَتْ لَكَ)). [٣]

---

[١] ميزان الحكمة ١١٦٦/٣

[٢] المصدر نفسه ١١٦٧/٣

[٣] المصدر نفسه ١١٦٨/٣

فهذا هو مفهوم الزهد الذي يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته الخالدة، فإنَّ الفهم الحقيقي له يؤدي إلى الاتِّعاض والعمل به؛ لئلا يصل غرور الإنسان بما يملك من مالٍ، أو جاهٍ، حيث يكون أسيراً له فيبتعد عن الله تعالى.

ثالثاً: اليقين. (وَقَوِّهِ بِاليَقِينِ)

إنَّ اليقين من المسائل المهمة التي يجب أنْ يصل إليها السالك نحو التكامل الإنساني والأخلاقي، وحقيقته: ((سكونُ الفهمِ مع ثباتِ الحكمِ)) [1]، واليقين هو أعلى درجات العلم، بل هو القطع والجزم، فالقلب لا يمكنه أنْ يكون قوياً بالشكوك والظنون تجاه أيِّ أمر، بل لابد من القطع ليكون الأمر راسخاً فيه وهذا يشمل كُلَّ أمر يمرُّ على الإنسان سواء كان عقائدياً أم فكرياً أم غيرهما، وفيه آثار كبيرة تساعد الإنسان على أنْ يقطع مراحل متعددة وهو مطمئن بأنه راسخٌ في عمله وتفكيره، وهذا اللفظ (اليقين) يدل على الاطمئنان والثبات، ولقد ورد في الأثر أنه: ((قد استعمل العرب هذا اللفظ في التعبير عن السكون والاستقرار، فقولهم فلان ذو يقين في هذا الأمر أو ذاك أي: إنه مستقر العقيدة، ثابت الرأي على صحة الحال وصدق الواقع، حتى لكأنه يعاين ما يهمه ويشاهد فلا يضطرب خاطره، ولا تقلق أفكاره، قال الجوهري: اليقين العلم وزوال الشك)). [2]

وقد أكدت كثير من الروايات هذا المعنى والحث عليه، فمن الروايات ما جعلت اليقين هو أعز شيء إذا وصل الإنسان إليه، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنَّ الإيمانَ أفضلُ من الإسلامِ، وإنَّ اليقينَ أفضلُ

---

[1] المفردات ص٥٧٧ (يقين).

[2] مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة ص٤٤٢

من الإيمانِ، وما من شيءٍ أعزُّ من اليقين)) [١]، وأهمية ذلك ظاهرة بأدنى تأمل لما في اليقين من أثر على العقيدة، وإنَّ الإمام (عليه السلام) في وصيته يؤكد على اليقين، ويجعل فيه سر قوة القلب؛ لما تترتب عليه من آثار كبيرة، وله آثار متعددة منها:

١- **الصبر:** فقد ورد عنه (عليه السلام): ((الصبرُ ثمرةُ اليقين)). [٢]

٢- **الإخلاص في العمل:** فقد ورد عنه (عليه السلام): ((سببُ الإخلاصِ اليقينُ)). [٣]

٣- **الزهد:** فقد ورد عنه (عليه السلام): ((اليقينُ يثمرُ الزهدَ)). [٤]

٤- **التوكل:** فقد ورد عنه (عليه السلام): ((التوكلُ من قوةِ اليقين)). [٥]

٥- **الرضا:** فقد ورد عنه (عليه السلام): ((الرضا ثمرةُ اليقين)). [٦]

٦- **تهوين المصائب:** فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّ اللهَ بحكمتهِ وجلالهِ جعلَ الرَّوْحَ والفرجَ في الرضا واليقين)). [٧]

---

[١] الكافي ٢/٥١

[٢] غرر الحكم، الحكمة رقم (٦٢١٧)

[٣] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٧٤٦)

[٤] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٧٣٥)

[٥] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٣٨٤٨)

[٦] المصدر نفسه، الحكمة رقم (١٨٢٣)

[٧] ميزان الحكمة ٨/٣٧٢

فالإنسان الذي يحصّن نفسه باليقين يقوى بذلك قلبه، ويستعد لتلقي آفاق المعرفة من خلال ثمرة ذلك اليقين؛ ولذا عبَّر الإمام (عليه السلام) بلفظ (القوة)، حيث باليقين يصل القلب إلى حقيقة الأشياء عن طريق ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب صاحبه، بعد أنِ استعدَّ لذلك، وقدَّم مقدمات الاستقبال والمعرفة للحقائق.

فإذا كان اليقين من ثماره وآثاره على النفس هذه الصفات: الصبر والإخلاص والزهد والتوكل والرضا وتهوين المصائب كما ورد في الروايات، فكيف ستكون قوة ذلك القلب الذي يتحصن بهذه القوى العظيمة ؟

وكيف ستكون آثار هذه الصفات على سلوك هذا الإنسان ؟

لذلك لو تأملنا في سيرة الأئمة (عليهم السلام) والعارفين لهذه الحقوق، لرأينا آثار تلك الصفات في أقوالهم وأفعالهم ظاهرة ومؤثرة فيهم، وعلى هذا فقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (وقوِّه باليقين) يبين لنا سر تلك القوة، وأين تكمن.

رابعاً: الحكمة. (وَنَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ)

إنَّ الحكمة من الأمور التي ندبت إليها الشريعة المقدسة طباقاً لما تسالم عليه العقلاء من أنَّ الحكمة تورث صاحبها مكانةً ومنزلةً وتجعله على بينةٍ من كل خطوة يسير باتجاهها بل يعرف عاقبة الطريق الذي يسر فيه، فالحكمة عُرِّفت هي: ((إصابةُ الحقِّ بالعلمِ والعقلِ، فالحكمةُ من الله تعالى معرفةُ الأشياءِ، وإيجادُها على غايةِ الإحكامِ، ومن الإنسانِ معرفةُ الموجوداتِ، وفعلُ الخيراتِ)) [1]، وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [2] ((إنه قد ذكر لكلمة (الحكمة) معانٍ كثيرة منها: (المعرفة والعلم بأسرار العلم)، ومنها: (العلم بحقائق القرآن)، و (الوصول إلى الحق بالقول والعمل)، و (معرفة الله تعالى)، و(إنها النور الإلهي الذي يميز بين وساوس الشيطان وإلهامات الرحمن)، والظاهر أنَّ الحكمة تأتي بالمعنى الواسع حيث تشمل جميع هذه الأمور بما فيها النبوة التي هي نوع من العلم والاطلاع والإدراك، فهي في الأصل أخذت من مادة (حَكْم) - على وزن حرف- بمعنى المنع، وبما أنَّ العلم والمعرفة والتدبير تمنع

---

[1] المفردات ص١٣٢ (حكم).

[2] سورة البقرة: الآية ٢٦٩

الإنسان من ارتباك الإعمال الممنوعة والمحرمة فلذا يقال عنها أنها حكمة)). [1]

والروايات المباركة قد أكدت هذه المعاني وبيَّنت آثار الحكمة على الإنسان، وأنها نور الحقيقة ينير للقلب حقائق الأمور لكي يُحكم أمره تجاهها، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((الحكمةُ روضةٌ العقلاءِ، ونزهةُ النبلاءِ)) [2]، ومن وصية لقمان لابنه في الحكمة: ((يا بني تعلَّم الحكمةَ تشرفُ، فإنَّ الحكمةَ تدلُّ على الدينِ، وتشرِّفُ العبدَ على الحُرِّ، وترفعُ المسكينَ على الغنيِّ، وتقدمُ الصغيرَ على الكبيرِ)) [3]، ومن آثار الحكمة على الإنسان أنها توصله إلى خشية الله تعالى ومخافته وطاعته والإقبال عليه، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله)) [4] إلى غير ذلك مما ورد من الروايات في معنى الحكمة وآثارها، ولذا قال أمير المؤمنين (ونوِّره) وكأنها -الحكمة- هي النور الذي يبصرُ به القلب حقائق الأشياء، وبها يرى الآخرة وما يجب عليه من الاستعداد له، وهي -حقيقة- كذلك وقد أفادت التجارب ذلك.

---

[1] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢/٢١٦

[2] غرر الحكم، الحكمة رقم (٦٠٢)

[3] ميزان الحكمة ٢/٦٧٠

[4] المصدر نفسه ٢/٦٧١

خامساً: ذكر الموت. (وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ)

بعد أنْ بيَّنَ الإمام (عليه السلام) في الفقرات الأربع ما يجعل القلب ذا مكانةٍ رفيعةٍ وعاليةٍ من حيث إحيائه وتقويته وتنويره فإنه يؤكد عليه بعد ذلك أنه أيضاً يحتاج إلى أنْ يتذكر النهاية الحتمية لكل مخلوقٍ لئلا يُصاب ذلك القلب بالغرور والانخداع بما يملكه من تلك الصفات العظيمة، حيث أنه من الممكن أنْ يصل إليه التكبر والكبرياء ولو مع تخلقه بتلك الصفات، ولكن مع اعترافه بالموت وتذلُّله بذكره دائماً فإنه سوف لا ينخدع، بل يضل مشغولاً بذلك المصير المحتوم، الذي سينقله من هذا العالم الضيق المحدود إلى عالَمٍ لا يمكن للعقل الإنساني أنْ يدرك حقيقته، فالإنسانُ يحتاج دائماً إلى أنْ يتفكَّر في هذه الحقيقة التي تبين خاتمة وجوده؛ ليكون على يقينٍ في أعماله وتفكيره، وذكر الموت له أثر بليغ على صلاح الإعمال في الدنيا، وقد أكدت روايات كثيرة على هذه الحقيقة التي يذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، ونذكر بعض ما ورد في تذكره فقط، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أفضلُ الزهدِ في الدنيا ذِكْرُ الموتِ، وأفضلُ العبادةِ ذِكْرُ الموتِ، وأفضلُ التفكيرِ ذِكْرُ الموتِ، فمَنْ ذكرَ الموتَ وجدَ قبرهُ روضةً من رياضِ الجنة))[1]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أكثروا ذكرَ الموتِ فما من عبدٍ أكثرَ ذكرهُ إلا

---

[1] المصدر السابق ٢٩٦٤/٧

أحيى اللهُ قلبَهُ وهوَّنَ عليهِ الموتَ)) [١]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أكثروا ذكرَ الموتِ فإنه يمحِّصُ الذنوبَ، ويزهِّدُ في الدنيا، فإنْ ذكرتموهُ عند الغنى هدمَهُ، وإنْ ذكرتموهُ عند الفقرِ أرضاكُمْ بعيشكم)). [٢]

إذاً فذكر الموت له دور في إحياء القلب، والتفكير، والزهد، والعمل الصالح، كما أكدت عليه الروايات، وهذا ما يبغيه الإمام (عليه السلام) من وصيته؛ لما في ذلك من الآثار الكبيرة الظاهرة والباطنة، فإذا تذلل القلب لم تُصبه أي لحظة تكبرٍ وغرورٍ.

---

[١] المصدر السابق ٧/٢٩٦٥

[٢] المصدر السابق. وقد فصلنا القول بما يتعلق بالموت وآثار هذه النعمة على الإنسان في كتابنا (الموت تحفة المؤمن).

سادساً: الإقرار بالفناء. (وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ)

إنَّ هذه الفقرة لها علاقة وثيقة بالتي سبقتها من حيث العموم، ولكن من حيث الخصوص أنَّ الأولى هو التذكُّر بالموت لكي لا يُنسى ذلك المصير، وأما في هذه الفقرة فنريد من القلب إضافة لذكره أو تثبيتاً لذلك الذكر وهو أنْ نجعل القلب يقرُّ بذلك إقراراً واقعياً لا ذكراً فقط، فقد نرى مَنْ يذكر الموت وقلبه متذلل به ولكنه يحتاج إلى التصديق والإقرار في العمل ليستحكم الأمر تجاه هذه الحقيقة، ولذا عبر (عليه السلام) بلفظ (الفناء) أي ليس أنت وحدك أو ممن هو معك سيموت، بل كل ما في هذا الوجود من اللذات والنعم و.و. فمصيره إلى الفناء فهل يأمل الإنسان بعد التصديق بذلك أنْ يميل إلى الدنيا ويبحث عن خلود له فيها. لذا فإنه (عليه السلام) يؤكد على هذه الحقيقة (الموت والفناء) في عدة موارد من هذه الوصية نفسها حيث يقول (عليه السلام) في مورد آخر: (واعلم أنك خلقت للآخرةِ لا للدنيا، وللفناءِ لا للبقاء، وللموتِ لا للحياة ...)، وقال أيضاً مذكراً بذلك ومبيناً حال الدنيا تجاه هذه الحقيقة: (يا بني أكثر من ذكرِ الموتِ، وذكرِ ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه .. وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها)، وأما الروايات التي وردت في الحث على ذلك فهي كثيرة ويمكن مراجعتها.[1]

---

[1] للتفصيل في الروايات في هذا الباب ينظر: ميزان الحكمة باب (الموت) ٢٩٥٣/٧

سابعاً: بَصِّره فجائع الدنيا. (وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيا)

إنَّ الإنسان لو ترك بلا موعظةٍ وبلا بلاءٍ لأصابه الغرور والتكبر، وما يتبعهما من المساوىء على الأخلاق، فلكي لا يمر الإنسان بهذه المرحلة يجب عليه أنْ يتبصَّر في حقيقة هذه الدنيا وأنها قد تفجع الإنسان في آنٍ ما كما قد فجعت من قبل ذلك، فالدنيا لا يدوم حالها لأحد فكم غدرت بأنبياء الله تعالى وأوليائه، فالدنيا لا أمان فيها فلعل قريب قد يفرح ويُسرُّ بفاجعة أخيه وهذا طبعاً لا يكون إلا بالجهل والعدوان، وفي هذا يروى: ((إنَّ رجلاً مَرَّ على جماعة يريدون دفن ميتٍ لهم فاطَّلعَ عليهم فأخذته العبرة فبكى ثم انشد مجموعة أبيات قال في أحدها:

يبكي عليه الغريبُ لا يعرِفُهُ وقرابَتُهُ في الحيِّ مسرورون

فقال له أحد الحاضرين أَوَ تعرف هذا الميت ؟

فأجاب: لا.

ثم سارعه بسؤالٍ آخرٍ: وهل تعرف قائل هذه الأبيات الشعرية ؟

قال: لا أيضاً.

فقال له: إنه هذا الميت الذي بكيته أنت الغريب، ولكن انظر ابن عمه ذاك فهو مسرور بوفاة هذا الميت لأنه الوحيد الذي سيرثه)). [1]

---

[1] الأخلاق عنوان الإيمان ومنطق التقدم، السيد محمد تقي المدرسي ص١٢

فعلى كُلِّ إنسان أنْ يعتبر من هذه المواقف، ويريد الإمام (عليه السلام) في وصيته أنْ يشير إلى ذلك.

وقد أكد القرآن الكريم ذلك من خلال بيان سيرة الأمم السابقة، وحال الأغنياء والفقراء فيها، فما من سورة إلا وتذكر أنَّ هذه الدنيا زائلة لا دوام فيها ولا لنعيمها، فعلينا أنْ نتفكر في آيات الله تعالى ونتدبر في تلاوة آياته كما حثنا القرآن على ذلك، وما قصص الأنبياء وما يتعلق بهم إلا مثالاً على تذكير الإنسان بتلك الفجائع، وما مر عليهم من الأذى من طغاة وكفار عصرهم.

ثامناً: صولة الدهر.

(وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ)

وهذا أمر آخر يجب على الإنسان أنْ يتأمَّل فيه ليتبصَّر في حقيقة الدنيا ويكون على بينة منها دون الغفلة والغرور بها، حيث أنَّ للدهر صولات إذا أقبلت على المرء أنْسَته ما في الدنيا من لذة ونعمة، وهذا هو حال الدنيا وتقلباتها، وخصوصاً إذا تسلَّطَ الظالمون على المؤمنين فإنهم يذيقونهم من العذاب الأليم، والتأريخ مليء بالعبر والمواعظ بذلك، فالدهر ليس له أمانٌ فلعلَّ الأيام والليالي تتبدل أحوالها وتُري الإنسان ما لا يسره في هذه الدنيا، ولذا وردت روايات كثيرة تحذر من الركون والاطمئنان للدنيا، فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((انظروا إلى الدنيا نظرَ الزاهدِ المفارق، فإنها تزيلُ الثاويَ الساكن، وتفجعُ المترفَ الآمن، لا يُرجى منها ما ولَّى فأدبر، ولا يُدرى ما هو آتٍ منها فيُستنظر))[1]، وقال أيضاً (عليه السلام): ((اجعل الدنيا شوكاً، وانظر أين تضع قدمك منها، فإنَّ مَنْ ركنَ إليها خذلته، ومَنْ أَنسَ فيها أوحشته، ومَنْ يرغب فيها أوهنته))[2]، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه

---

[1] ميزان الحكمة ٢/٩٠٥

[2] المصدر نفسه.

الدنيا بقوله: ((الدنيا سجنُ المؤمنِ، وجنةُ الكافرِ))[1]، والأحاديث في ذلك كثيرة ولذا يحذر الإمام من صولاتها التي قد تغدر من غير استعداد لها.

[1] المصدر السابق ٩٠٨/٢ ، وقد فصلنا القول في كتاب (الموت تحفة المؤمن).

تاسعاً: عرض أخبار الماضين. (وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ)

إنَّ في الاتعاظ بأخبار الماضين لدرس كبير للإنسان الذي يعقل هذا الأمر ويتأمل ويتدبر في حقيقته دون الغافل عنه، بل إنَّ المؤمن يجب أنْ يكون على يقظةٍ من هذا، وهو الذي تنفع فيه المواعظ والذكرى دون غيره قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، لذا يجب علينا أنْ نستذكر أقوال الأمم السالفة أين حَلَّ بهم الدهر، وخصوصاً الطغاة والظلمة والمتكالبين على الدنيا فلم يخرجوا من هذه الدنيا بسوى قطعة بيضاء وسيقفون غداً أمام الحكم الذي لا يحتاج إلى شاهد لأنه هو الحاكم الشاهد قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [2] إضافة إلى سيرة أولئك الطغاة أمثال فرعون وقارون وغيرهما، فلنستمع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يحث ذلك: ((ألستُمْ في مساكِنِ مَنْ قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثف (أكثر) جنوداً، تعبَّدوا للدنيا أيَّ تعبدٍ، وآثاروها أيَّ إيثارٍ، ثم طعنوا عنها بغيرِ زادٍ مبلّغ، ولا ظهرٍ قاطعٍ)).[3]

---

[1] سورة الذاريات: الآية ٥٥

[2] سورة الدخان: الآية ٢٥ - ٢٩

[3] نهج البلاغة ١/٢١٦

عاشراً: التذكر بما أصاب الأمم.

(وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ)

إنَّ تذكير الإنسان بآثار الماضين تجعله أيضاً يتفكَّر في حقيقة وجوده في الحياة الدنيا وأنه في دارِ سفرٍ لا دار استقرار فيها إلى الأبد، بل لابد من أنْ يرحل عنها يوماً، ولذا قد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في كثيرٍ من آياته ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [1] قال "الراغب" في "المفردات": ((إنَّ الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى)) [2]، وورد في تفسير "الأمثل" عند تفسير هذه الآية: ((فالقرآن في هذا الصدد يشرح حال الدنيا وحال الآخرة مبيناً أنَّ الحياة الدنيا هي نوع من الانشغال واللعب، يجتمع الناس فيها وينشدون إلى تصورات قلوبهم وأنفسهم، وبعد أيام يتفرقون ويختفون تحت التراب ثم يطوى كل شيء ويغدو في سلة النسيان، أما الحياة الحقيقة فهي الحياة الآخرة فحسب لو كان الإنسان يعرف ذلك وكان أهلاً للتدقيق والتحقيق وبديهي أنَّ القرآن لا يريد أنْ ينسى وينفي مواهب الله في هذه الدار الدنيا، بل يريد أنْ يجسد قيمة

---

[1] سورة العنكبوت: الآية ٦٤

[2] ص١٤٥ (حيي).

هذه الدنيا بالقياس إلى الآخرة قياساً صريحاً واضحاً، وإضافة إلى ذلك فإنه ينذر الإنسان لئلا يكون أسيراً لهذه المواهب، بل يكون أميراً عليها)).[1]

فهذه الحقيقة التي يريد أنْ يؤكد عليها الإمام (عليه السلام) بـأنْ لايغترَّ الإنسان بما في الدنيا، بل كل ما فيها زائل، وأنها دار بلاء وامتحان لأجل الخلود في الدار الحقيقة، وفي كل ذلك إشارة إلى الاستعداد للآخرة والنظر إليها نظرة اليقين، كما ينظر المسافر إلى بلده متى يرجع إليه، وهذا له أثرٌ ودورٌ كبيرٌ في عدم الركون إلى الشيء المؤقت الزائل مقابل الأمر الخالد، بل له أثر في سلوكِ الفرد في الدنيا مع نفسه وربه والآخرين، فلتتأمل في قوله (عليه السلام): (وسِرْ في ديارِهِمْ .. وكأنَّك عن قليلٍ قد صرتَ أحدهم)، والتأريخ يبيِّن لنا أمثلة كثيرة عن هذه الحقيقة، بل كل إنسانٍ يمكنه أنْ يصل إلى هذه الحقيقة بأدنى تأملٍ في وجوده ومَنْ كان قبله، ولذا ورد في بيان هذه الحقيقة: ((والحق لا قيمة لِلحضات عمرِ الإنسانِ في الدنيا الزائلة بالقياسِ بعمرِ الإنسان اللامتناهي والخالد في الجنة ... وطالما يوسوس الشيطان الرجيم في عقل الإنسان لإبعاده عن حقيقةِ الخُلد وإلهائِهِ بزيفِ لذيذِ الدنيا الزائل، فهو يسوِّلُ له الحرص المادي لنيل المسكن المنيف ثم توسعته ليكون قصراً ثم جمع المال واقتناء الذهب والفضة، غير أنَّ حقيقة اللذائذ الدنيوية تتضح بعد زوال أصحابها

---

[1] ينظر ٣٢٨/١٢

فلنذهب إلى "الأهرامات" في مصر، وإلى آثار الفينيقيين في "بعلبك"، أو إلى "نحت جمشير" في مدينة شيراز الإيرانية، أو إلى "إيوان كسرى" ناحية المدائن ببغداد)). [1]

فالسيرُ في تلك المدائن والآثار يُعَرِّف الإنسان حقيقة الدنيا وأين سُكان تلك المساكن التي غَدَت اليوم أثراً، ولنتفكَّر في الآخرة ونرى أين يكمن الخلود الحقيقي.

وهذا الأمر له من العبرة النافعة لكل إنسانٍ يتفكَّر في حقيقة الدنيا وحقيقة الوجود ولذا يذكِّر الإمام (عليه السلام) بهذا الأمر في هذه الوصية الخالدة لنكون على بينة من ذلك لما فيه من الأثر على التربية والسلوك الفردي والجماعي.

إننا من خلال ما تقدم في هذه الفقرات العشر التي تأكد على الاهتمام بقلب الإنسان والحفاظ عليه من كل ما يلوثه ويُبعده عن الله تعالى إلى نتيجة أساسية واحدة وهي اليقين بالآخرة، والاستعداد والعمل لها، دون الركون إلى الدنيا والغرور بما فيها، وهذا الأمر له عظيم الأثر على سلوك الإنسان وتربيته تربية صالحة تظهر آثارها على نفسه وعلى المجتمع، فتزكية النفس وتطهيرها هو سبيل الإنسان المؤمن الذي يريد الوصول إلى ربه وصولاً مُشَرَّفاً له، فالإمام (عليه السلام) في هذه الوصية أكثر اهتمامه

---

[1] على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي ص٩١

ووصيته كان في مجال التأكيد على الآخرة والاستعداد لها، ولذا يعقب تلك الفقرات التي كان الأمر يتعلق فيها بالقلب فيقول بعد أنْ ينتهي من وصيته حول القلب وكيفية صلاحه وإصلاحه:

- فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ..
- يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ..
- واعلم أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقةٍ شديدة ..
- واعلم أنك خُلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة..
- يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه ..
- وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها ..

وغير ذلك من الفقرات التي تؤكد على الآخرة والاستعداد لها وهو أصل المعرفة والعمل لصالح والنفس الزاكية. [1]

---

[1] لم نفصّل الحديث في جميع فقرات الوصية فيما له أثر على السلوك الفردي في هذا المحور خوف الإطالة وحاجة الأمر لأكثر مما هو في بحث مختصر، ولذا اقتصرنا على بعض ما ورد، ولعل فيه بيان موجز وافٍ لمن أراد أنْ يتخذ منها منهجاً لإصلاح نفسه وأحواله.

المبحث الثالث
العلاقة بين الإنسان
و المجتمع و أثر التربية

المبحث الثالث: العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية.

في هذا المحور نحاول أنْ نبين بعض مفردات هذه الوصية الخالدة التي تؤكد على دور الإنسان في المجتمع بعد أنْ مَـرَّ بتلـك المـرحلتين المهمتين مرحلة التربية النفسية مع الله تعالى ومرحلـة تهـذيب الـنفس والذات وتزكيتها، حيث أنه بعد ذلك سوف يكون محور عمله في المجتمع ليدعو من خلال هذه العلاقة إلى بناء المجتمع والمحافظة على العلاقات الاجتماعية التي لها دور في بناء مجتمعٍ صالحٍ تبرز فيه آثاره الكريمة، حيث أنَّ الشريعة الإسلامية لا تدعو إلى تهذيب النفس فقط دون العمل من أجل تهذيب الآخرين، ولذا نرى كثيراً من الآيات المباركة تحث على العمـل تحت الرعاية الإلهية، وهذا ما يخص العمل ضمن نطاق الشريعة عما سواه ، حيث نرى آثار الروح والمحبة والإيثار فيه دون سواه قال تعالى: ﴿وَقلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [1]، وعلينا أنَّ نؤمن بأنَّ سلامة الإنسان بسلامة خطوط العلاقة والارتباط بالآخرين، وكلما تكون العلاقة أسلم يكون حال الإنسان أفضل وأسلم، ولـذلك فـإنَّ لـشبكة العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين أهمية كبـيرة في سـلامة الإنـسان واستقامته وسعادته حتى إننا نستطيع أنْ نقوِّمَ الإنسان بعلاقاتـه وصـلاته وارتباطاته، فإذا كانت علاقات الإنسان بالآخرين عـلى أسـاس العـدل

---

[1] سورة التوبة: الآية ١٠٥

والإنصاف والتعاون والإيثار والمحبة كان الإنسان صاحب هذه العلاقات سعيداً مستقيماً في حياته .. فكلما كان الإنسان صالحاً تكون علاقته بالآخرين صالحة وقائمة على أسس صحيحة وأخلاقية، وكلما يكون الإنسان فاسداً ينطوي على نية السوء وسوء السريرة فإنَّ علاقاته بالآخرين أيضاً تتصف بالخبث والمكر والسوء العدوان.

والعلاقة في هذا المحور يمكن بيانها إجمالاً ضمن نقاط عشرة:

- **أولاً:** الإخوة والصداقة والتعامل معهما.
- **ثانياً:** معاشرة أهل الخير وهجر أهل الشر.
- **ثالثاً:** الرزق والابتعاد عن الحرام.
- **رابعاً:** اجتناب الظلم.
- **خامساً:** القناعة بالكفاف.
- **سادساً:** التحذير من الخصومة واللجاج.
- **سابعاً:** حسن الجوار.
- **ثامناً:** الحفاظ على المرأة.
- **تاسعاً:** صلة الرحم والعشيرة
- **عاشراً:** التمسك بالحق.

فهذه عشرة أنواع من العلاقات لها دور وأثر في التربية الاجتماعية ويجب على الإنسان الصالح والمصلح أنْ يتحلى بها ليكون قدوة ودعية

إليها فإنَّ فيها مكارم الأخلاق التي يجب أنْ يتحلى بها المؤمن لما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أفضلُكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً))[1]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((خيارُكُمْ أحسنُكُمْ أخلاقاً الذين يَألفونَ ويُألفونَ)).[2]

نحاول في هذه الصفحات أنْ نتحدث عن هذه العلاقات بإيجاز شديد؛ لتتبين لنا الرؤية الكاملة لآثار هذه الوصية الخالدة المباركة، وما فيها من نظامٍ اجتماعي وفردي متكاملٍ نحو الخير والصلاح، حيث أنَّ كُلَّ فقرة من فقراتها تحتاج إلى بيان وإيضاح، ووقفة تأملية في أسرار ألفاظها ومعانيها.

---

[1] تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني ص٣٨

[2] المصدر نفسه.

أولاً: الإخوة.

((احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى البَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى العُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ)).

لقد وردت في هذه الوصية الخالدة عدة فقرات تؤكد على مفهوم الإخوة، بل نجد أعظم المفردات في الحث على هذه العلاقة ما لم تتجسد في غيرها من الكلمات فهي مصداق لقوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ))[1]، فعلينا أنْ نتأمل في هذه الفقرات لنرى كيف يصوِّرُ لنا ربيب القرآن (عليه السلام) معنى الإخوة من خلال التأمل في هذه الفقرات التي لها علاقة بالأخوة وروابطها وآثارها، ففي هذه الكلمات تتجلى أعلى درجات الكمال في العلاقة الأخوية، وإنَّ الشريعة المقدسة في كثيرٍ من أبوابها قد حثت على هذه العلاقة لما فيها من التكامل الذاتي للنفس والمجتمع، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((المؤمنُ أخو المؤمنِ عينُهُ ودليلُهُ، لا يخونُهُ، ولا يظلِمُهُ، ولا يغشُّهُ، ولا يَعِدُهُ عدةً

---

[1] سورة الحجرات: الآية ١٠

فيخلفُهُ)) [١]، وورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((مَنِ استفادَ أخاً في اللهِ على إيمانٍ ووفاءٍ بإخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يفلج بها يوم القيامة، وعزاً باقياً، وذكراً نامياً)) [٢]، وقال الصادق (عليه السلام): ((لا تتبعْ أخاكَ بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيه، فيسدَّ عليهِ طريقَ الرجوعِ إليكَ، فلعلَّ التجاربَ تردُّهُ عليكَ)) [٣]، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الإخوانُ صنفانُ؛ إخوانُ الثقةِ، وإخوانُ المعاشرةِ، فإذا كنتَ من أخيكَ على حَدِّ الثقةِ فابذلْ له مالَكَ وبدنَكَ، وصافِ مَنْ صافاهُ، وعادِ مَنْ عاداهُ، واكتُمْ سرَّه وعيبَهُ، وأظهرْ منه الحسنَ، واعلمْ أيها السائِلُ إنهم أقلُّ من الكبريتِ الأحمرِ)). [٤]

وفي الإخوة الحقيقة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إنَّ أخاك حقاً مَنْ غفرَ زَلَّتَكَ، وسَدَّ خِلَّتَكَ، وقَبِلَ عُذْرَكَ، وسترَ عورتَكَ، ونفى وَجَلَكَ، وحقَّقَ أملَكَ)). [٥]

---

[١] الكافي ١٦٦/٢

[٢] تحف العقول ص٢١٣

[٣] ميزان الحكمة ٤١/١

[٤] المصدر نفسه ٤٣/١

[٥] غرر الحكم، الحكمة رقم (٩٦٤٥)

وفي ترك عتاب الأخ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((احتملْ أخاكَ على ما فيهِ، ولا تكثرِ العتابَ فإنه يورثَ الضغينةَ، واستعتبْ من رجوتَ عتابَهُ)). [١]

وأما خير الإخوان فيصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: ((خيرُ إخوانِكَ مَنْ دعاكَ إلى صدقِ المقالِ بصدقِ مقالِهِ، وندبَكَ إلى أفضلِ الإعمالِ بحسنِ عملِهِ)) [٢]، وكذا ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((خيرُ إخوانِكَ مَنْ أعانَكَ على طاعةِ اللهِ، وصَدَّكَ عن معاصيهِ، وأمرَكَ برضاهُ)). [٣]

وأما في اختيار الصديق فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الصديقُ مَنْ كانَ ناهياً عن الظلمِ والعدوانِ، معيناً على البرِّ والإحسانِ)). [٤]

وأما حدود الصداقة فيبيِّنها الإمام الصادق (عليه السلام) فيقول: ((لا تكونَ الصداقةُ إلا بحدودِها، فمَنْ كانتْ فيه هذه الحدود، أو شيء منه، وإلا فلا تنسبنَّهُ إلى شيءٍ من الصداقةِ، فأولها: أنْ تكونَ سريرتُهُ وعلانيتُهُ لكَ واحدةً.

---

[١] ميزان الحكمة ١/٤٥

[٢] غرر الحكم، الحكمة رقم (٩٥٣٥)

[٣] ميزان الحكمة ١/٤٦

[٤] غرر الحكم، الحكمة رقم (٩٤٧٧)

والثانية: أنْ يرى زَيْنَكَ زينَهُ، وشينَكَ شينَهُ. والثالثة: أنْ لا تُغَيِّرَهُ عليكَ ولايةٌ ولا مالٌ. والرابعة: لايمنعكَ شيئاً تنالُ مقدرتَهُ. والخامسة: وهي تجمعُ هذه الخصال أنْ لا يسلمَكَ عندَ النكباتِ)).[1]

فهذه بعض الأحاديث المباركة التي تأسس لهذه العلاقات الاجتماعية، ولا يخفى أنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته الحقوقية يبين حق هذه العلاقة فيقول: ((وأما حَقُّ الصاحبِ فأنْ تصحبَهُ بالفضلِ ما وجدتَ إليه سبيلاً، وإلا فلا أقلَّ من الإنصافِ، وأنْ تكرمَهُ كما يكرمكَ، وتحفظَهُ كما يحفظكَ، ولا يسبقكَ فيما بينَكَ وبينه إلى مكرمةٍ، فإنْ سبقَكَ كافأتَهُ، ولاتقصِّرْ به عما يستحِقُّ من المودةِ، تلزمْ نفسكَ نصيحتَهُ، وحياطتَهُ، ومعاضدتَهُ على طاعةِ ربه، ومعونتَهُ على نفسهِ فيما يهمُّ به من معصيةِ ربه، ثم تكونَ [عليه] رحمةً، ولاتكونَ عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله)).[2]

ولذا حث الإسلام في كثير من تشريعاته على المحبة والتعاون والإخوة والسعي في قضاء حوائجهم، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: مَنْ كانَ في حاجةِ أخيهِ المسلمِ كانَ اللهُ في حاجتِهِ. حيث يعقِّب الشيخ "ناصر مكارم الشيرازي" على هذا الحديث بقوله:

---

[1] ميزان الحكمة ١/١٥٨٩

[2] ص٣٠٤

((يعتقد أغلب الأفراد إنَّ الانهماك في حل مشاكل الآخرين يصده عن التقدم في حياته، والحال لا ينسجم هذا الأمر والمنطق الإسلامي، فقد أشار الحديث المذكور إلى أنَّ الإنسان إذا سعى لحل مشاكل الناس وتلبية حاجاتهم فإنَّ الله سبحانه الذي تفوق قدرته جميع القدرات سيعين ذلك الإنسان على حل مشاكله)).[1]

فهذا جزء مما يتعلق بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الإخوة والصحبة وما فيها من الآثار التي لا تخفى.

---

[1] دروس في الحياة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ص٦٥

ثانياً: المعاشرة والصحبة.

(قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ)

إنَّ هذا أمراً مهماً أيضاً يجب علينا الالتفات إليه، والاهتمام به من حيث المعاشرة والصحبة، إذ إنَّ ذلك له أثر بالغ على النفس وعلى العلاقة مع الآخرين، فيجب على الإنسان أنْ يحسن العشرة مع أهل الخير الذين يتصفون بالصفات الحميدة ومكارم الأخلاق ويكون قريناً لهم دون سواهم، فإنَّ هؤلاء هم خير معين للوصول إلى الطاعة والرضا والذكر الجميل، فعلينا أنْ نكون على دقة في المعاشرة مع الآخرين؛ لأنَّ العشرة والصحبة لها علاقة في الروابط الاجتماعية وصلاح المجتمع، وقد وردت في ذلك روايات عدة منها ما ورد في اتخاذ الإخوان والصديق كما مر.

ومن خير ما ورد في ذلك عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: ((اجتهدوا في أنْ يكونَ زمانُكُمْ أربعَ ساعاتٍ، ساعةٌ لمناجاةِ الله، وساعةٌ لأمرِ المعاشِ، وساعةٌ لمعاشرةِ الإخوانِ والثقاتِ الذين يعرِّفونكُمْ عيوبَكُمْ، ويخلصونَ لكم في الباطنِ، وساعةٌ تخلونَ فيها للذاتِكُمْ في غيرِ محرمٍ، وبهذهِ الساعةِ تقدرونَ على الثلاثِ ساعاتٍ))[1]، فهذه الرواية تبين لنا ملامح المعاشرة بدقة متناهية، فليس يصاحب الإنسان أيَّ أحدٍ بل مَنْ

---

[1] تحف العقول ص٣٠١ / وقد بيَّنا ما يتعلق بهذا الحديث من الآثار التربوية النفسية والاجتماعية في كتابنا (الإمام الكاظم "عليه السلام" ودوره في الإصلاح وتربية الأمة).

جُمِعت فيه هذه الخصال، ومما ورد في ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((ليس شيء أدعى لخير، وأنجى من شرٍّ من صحبة الأخيار)) [١]، وفي التحذير من صحبة الأشرار يقول (عليه السلام): ((صحبةُ الأشرارِ تكسبُ الشرَّ، كالريحِ إذا مَرَّتْ بالنتن حملت نتناً)) [٢]، وقال (عليه السلام): ((صحبةُ الأحمقِ عذابُ الروح)) [٣]، بينما ((صحبةُ الوليِّ اللبيبِ حياةُ الروح)) [٤]، وغير ذلك مما ورد في العشرة والمعاشرة، واختيار الأخيار لمعاشرتهم حيث لا يحتاج إثبات عظمة هذه الصُّحبة إلى مزيد من الأحاديث، أو الاستدلال في أثره على صلاح الإنسان والمجتمع.

---

[١] غرر الحكم، الحكمة رقم (٩٤٣٥)

[٢] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٩٨٢٦)

[٣] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٩٨٥١)

[٤] المصدر نفسه، الحكمة رقم (٩٧٧١)

ثالثاً: الرزق والابتعاد عن الحرام.

(بِئْسَ الطَّعَامُ اَلْحَرَام .. وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ)

إنَّ هذا الأمر يعد من المسائل الجوهرية التي لها علاقة بالإنسان المسلم في المحافظة على نفسه من الوقوع في المحرمات عن طريق الكسب غير الشرعي، فيحتاج أنْ يتأمل في المال الذي يحصل عليه ومصدره، لأنَّ هذا المال مصدر غذائه المادي فإنْ كان حلالاً فإنه يبني ذلك الجسد على أصل حلال، وإنْ كان حراماً فإنه يُدخل في جوفه الحرام، وما في ذلك الخطر والسوء على الإنسان، فيُبنى ذلك الجسد على الحرام، فيكون بعيداً عن الله تعالى.

والإمام (عليه السلام) يشير في هذه الفقرة إلى الاهتمام بالنسبة للناس بالعمل، والحث على العمل، ولكن العمل الحلال الذي يحصل به على الكسب الحلال دون الحرام، ولذا فإنَّ الرزق أمر مهم يجب علينا أنْ نفكِّرَ في كيفية حصوله دون عدم الاهتمام والمبالاة في ذلك، فيقول (عليه السلام) في بعض مقاطع الوصية: ((واعلم يا بني إنَّ الرزق رزقان: رزق تطلبُه، ورزق يطلبك، فإنْ أنت لم تأتِه أتاك))، وفي كُلِّ هذا إشارة إلى الكسب والعمل دون التذمر والبطالة والعطل.

ومن الروايات المباركة التي وردت في الحث على طلب الحلال قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((العبادةُ عشرةُ أجزاءٍ، تسعةٌ في طلبِ

الحلالِ))[١]، بل إنَّ طلب الحلال والعمل والجهد فيه يُعَدُّ جهاداً كما في بعض الروايات فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الكادُّ على عيالِهِ كالمجاهدِ في سبيلِ الله))[٢]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحث على ذلك: ((مَنْ باتَ كالاً في طلبِ الحلالِ يأتِ مغفوراً له)).[٣]

في كُلِّ ذلك حث المجتمع على التفكر في كيفيـــة العمـــل، دون تكالبِ بعضهم على بعض من أجل الحصول على المال ولو كـــان مـــن الحرام، فإنَّ الرزق الحلال تظهر آثاره على الفرد والمجتمع من حب الخير والإحسان، وأما الحرام فإنه ينشر الرذيلة والجريمة.

---

[١] ميزان الحكمة ٣/١٧٤

[٢] المصدر نفسه.

[٣] المصدر نفسه.

رابعاً: اجتناب الظلم.

(وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ)

إنَّ الظلم من أقبح صفات العباد، بل هو من صفات الطغاة والظلمة، وإنَّ عاقبة الظلم ظلماتٌ وعذاب، وقد حذَّرَ الله تعالى من هذه الصفات المذمومة في كثير من آياته المباركة وكذا الروايات الشريفة، وهذا أمر عقلي وبديهيّ لا يحتاج إلى دليل واستدلالٍ عليه، بل حتى تذكير عليه، وإنَّ ذكر الإمام (عليه السلام) إنما يأتي من حيث التأكيد على الصفات الحميدة التي يجب على المسلم أنْ يتحلى بها ويتذكَّرها دائماً، لأنَّ الظلمَ حبلُهُ قصير ولابد أنْ ينقطعَ بأهله، وكُلُّ أنواع الظلم قبيح، ولكنَّ أقبحها هو ظلم الضعفاء الذين لا ناصر ومعين لهم، قال تعالى في التحذير من عواقب الظلم: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [2]، ومن الأحاديث الشريفة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اتَّقوا الظلمَ فإنَّهُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ)) [3]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الظلمُ

---

[1] سورة يونس: الآية ١٣

[2] سورة النمل: الآية ٥٢

[3] الكافي ٢/٢٣٢

يزلُّ القدمَ، ويسلبُ النِّعَم، ويهلكُ الأممَ)) [١]، وقال (عليه السلام): ((بئسَ الزادِ إلى المعادِ العدوانُ على العبادِ)) [٢]، ومن آثار الظلم كما ورد في الروايات أنه أكبر المعاصي، وأنَّ الظالم لا يشم رائحة الجنة، وأنه يخرب القلوب، وأنَّ فيه التدمير والهلاك، وقصر العمر وغير ذلك.[٣]

بل إنَّ الشريعة المقدسة حثت على نصرة المظلومين والأخذ لهم بحقوقهم وإعاناتهم، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ أخذَ للمظلومِ من الظالمِ كانَ معي في الجنةِ مصاحباً)) [٤]، بل ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يؤكد عظمة نصرة المظلوم من الظالم قوله: ((ما مِنْ مؤمنٍ يعينُ مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضلَ من صيامِ شهرٍ واعتكافٍ في المسجد الحرام، وما من مؤمنٍ ينصرُ أخاهُ وهو يقدرُ على نصرتِهِ إلا نصرهُ اللهُ في الدنيا والآخرةِ، وما من مؤمنٍ يخذلُ أخاهُ وهو يقدرُ على نصرتِهِ إلا خذلهُ اللهُ في الدنيا والآخرةِ)) [٥]، وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في التحذير من الظلم والحث على نصرة المظلوم، فالإمام (عليه السلام) يؤكد على هذا المبدأ الإنساني ويبيِّن أثره على النفس والمجتمع من أجل المحافظة على المجتمع من آفات الظلم والظالمين.

---

[١] غرر الحكم، الحكمة رقم (١٠٤١١)

[٢] ميزان الحكمة ٤/١٧٧٠

[٣] المصدر نفسه ٤/١٧٦٩

[٤] المصدر نفسه ٤/١٧٨٠

[٥] المصدر نفسه.

خامساً: القناعة والكفاف.

(وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ)

إنَّ هذا الأمر في هذه الفقرة له علاقة وثيقة بالتي قبلها حيث أنَّ الإنسان لو تخلَّق بصفتي القناعة والكفاف لم يفكر في الحصول على المال من الحرام، وهذا من أعلى درجات الخلق الرفيع الذي ينبغي على الفرد أنْ يتحلى به، والروايات الشريفة أيضاً قد حثت على ذلك، فمنها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما قَلَّ وكفى، خيرٌ مما كثرَ وألهى)) [1]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في آثار القاعة والكفاف: ((ومَنِ اقتصرَ على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خفض الدعة)). [2]

وينبغي بيان بعض الأمور التي لها أثر في زيادة الرزق والأموال، فلعل بعضاً يتصوَّر من خلال ما مضى أنَّ الشريعة ضد الغنى والحصول على المال، فإنَّ هذا مفهومٌ خاطئ، بل القرآن يتحدث عن ذلك بصراحة، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [3]، فالشريعة ليست ضد ذلك، بل يجب على الإنسان أنْ يعرفَ كيفية الحصول على المال الحال والقناعة والكفاف به وإنْ كان قليلاً، لأنَّ صفة الطمع

---

[1] المصدر السابق ١٠٧٧/٤

[2] نهج البلاغة ٢٤٢/٣

[3] سورة الأعراف: الآية ٣٢

تؤدي بصاحبها إلى المحرمات وسوء الخُلُق، وما يترتب على ذلك من آثار على العبد والمجتمع من خلال العلاقات العامة بالمحافظة على الأخلاق والمبادىء والارتقاء بهما، ولزيادة الرزق أسباب عدة كما بيَّنتها الروايات منها: البر والإحسان سواء لأهل بيته أم لغيره، وحسن الخلق، ومواساة الإخوان، والأمانة والطهارة والتطهر، والتصدق على الآخرين، إضافة إلى تأدية الحقوق الشرعية الواجبة. [1]

إذاً فالإمام (عليه السلام) يبغي في هذا المقطع من وصيته الخالدة المحافظة على سلامة النفس مما يؤثِّر في سموِّها وارتقائها وفي ذلك أعظم النظم لتنظيم الحياة الاجتماعية.

---

[1] وقد وردت في كل ذلك أحاديث مباركة ومهمة، يمكن مراجعة ميزان الحكمة باب (ما يجاب الرزق ويزيده) ١٠٧٣/٣

سادساً: التحذير من الخصومة واللجاج.

﴿إِيَاكَ أَنْ تُجْمِحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ﴾

إنَّ هذا سبب مهم من أسباب المحافظة على العلاقات الاجتماعية وتقوية روابطها دون الاغترار بالنفس وما عندها، مما يؤدي ذلك إلى اعتداد الإنسان بنفسه لا غير حتى يؤدي ذلك إلى أنْ يخاصم الآخرين باللجاج والعناد، فيفسد خلقه ويبعد الآخرين عنه، فيفتقد وُدَّهم وتواصلهم والتعاون معهم في سبيل المجتمع، ولذا يعبر الإمام (عليه السلام) بلفظ التحذير (وإياك) لما فيها من الآثار السيئة، إضافة عن تعبيره بـ (الجموح) وفيه تأكيد على ذلك التحذير من آثار هذه الصفات من ركوبها صاحبها، فقد ورد في معنى الجموح قولهم: ((جمح وهو ذهاب الشيء قُدُماً بغلبة وقوة)) [1]، ولا يمكن التغلُّب على ذلك إلا بصفاء القلب وتنوُّره بالحكمة والخلق الحسن الذي مضى الحديث عنه في المحور الأول، وما كان متعلقاً بالذات وتربيتها، ولذا حذرت الشريعة من هذه الصفة في كثيرٍ من الروايات، منها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن)) [2]،

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (جمح).

[2] الكافي ٢/٣٠١

وقال أيضاً: ((لا يخاصم إلا مَنْ قد ضاق بما في صدره)) [1]، وغيرها من الروايات التي تحذر من ذلك وخطره.

---

[1] المصدر السابق.

سابعاً: حسن الجوار.

(سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ)

إنَّ حسن الجوار من أعظم المسائل التي أكد عليها الإسلام في تشريعاته المباركة، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [1]، وكذا الروايات الشريفة وبيان حقوق الجار ومسؤولية المسلم تجاه ذلك حتى مع غير المسلمين، وفي ذلك بيان رفعة وعلوِّ ومقام الشريعة المقدسة، حيث أنَّ المشرك -أيضاً- له حق الجوار ويجب علينا الحفاظ عليه، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الجيرانُ ثلاثةٌ، جارٌ له ثلاثةُ حقوقٍ: حَقُّ الجوارِ، وحَقُّ القرابةِ، وحَقُّ الإسلام. وجارٌ له حَقَّانِ: حَقُّ الجوارِ، وحَقُّ الإسلامِ. وجارٌ له حَقُّ الجوارِ المشركُ من أهلِ الكتابِ)). [2]

وفي ذلك أعظم دعوة للنظام الاجتماعي المتكامل، وخير بيان لهذا الأمر ما أكده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته العظيمة رسالة الحقوق، حيث يقول: ((وأما حقُّ جارِكَ فحفظُهُ غائباً، وإكرامُهُ شاهداً، ونصرتُهُ إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإنْ علمتَ عليهِ سوءً سترتَهُ عليه، وإنْ

---

[1] سورة النساء: الآية ٣٦

[2] مجمع البيان في تفسير القرآن ٨٣/٣

علمتَ أنه يقبلُ نصيحتَكَ نصحتَهُ فيما بينكَ وبينَهُ، ولا تُسلِمْهُ عند شديدةٍ، وتُقيلُ عثرتَهُ، وتغفرُ ذنبَهُ، وتعاشرهُ معاشرةً كريمةً، ولا قوة إلا بـــالله)) [١]، فهذه جملة من حقوق الجار يجب علينا الحفاظ عليها، وفي حديث عـــن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: ((قرأت في كتاب علي (عليـــه السلام) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب بين المهاجرين والانصار ومَنْ لحقَ بهم من أهل يثرب أنَّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثمٍ، وحرمة الجار على الجار كحرمةِ أُمِّه)). [٢]

فالإحسان إلى الجار مما أكدت عليه الشريعة المقدسة، ومما ورد عـــن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: ((ليسَ حسنُ الجـــوارِ كَـــفَّ الأذى ، ولكن حسنُ الجوارِ الصبرُ على الأذى)). [٣]

وأما حدود الجار من حيث المكان والعدد فهو أربعون داراً كـــما ورد في الرواية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: ((كُـــلُّ أربعـــينَ داراً جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله)) [٤]، وفي ذلك غنىً عن بيان أبعاد وآثار هذا الخلق الإسلامي الرفيع، والإمام (عليه الـــسلام) يؤكد ذلك في وصيته الخالدة لما فيه من المحافظة على حقوق المجتمع، والأخذ به نحو كماله وتكامله.

---

[١] ص٣٠٣

[٢] وسائل الشيعة ١٢٦/١٢

[٣] تحف العقول ص٤٠٩

[٤] وسائل الشيعة ٢٥٩/١٢

ثامناً: كرامة المرأة.

(واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبْقَى لَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ)

إنَّ الإسلام أعظم الأنظمة الاجتماعية التكاملية التي حافظت على كرامة المرأة وحقوقها وشرَّعت الإحكام في ذلك، ولو أننا اطلعنا على الأحكام الشرعية العامة المتعلقة بالمرأة وتمت مقارنتها مع الأنظمة الأخرى لرأينا عظمة الإسلام في الحفاظ على المرأة من كُلِّ أمر يؤدي سوء إليها، والآيات المباركة والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى، بل لو تمت دراسة حال المرأة قبل الإسلام وبعده لتبينت لنا أيضاً حقيقة ومكانة المرأة المكرَّمة، وفي هذه الوصية الخالدة يشير الإمام (عليه السلام) إلى عدة مسائل تتعلق بالمرأة ونحن نختار منها أمراً واحداً وهو ما يتعلق بحجاب المرأة وأهمية هذه المسألة ودوره في حفظ المرأة والمجتمع من الزلل والضلال، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلايُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [1]، وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة: ((إنَّ المراد بالجلباب أنه قماش أطول من

---

[1] سورة الأحزاب: الآية ٥٩

الخمار يغطي الرأس والرقبة والصدر، أو أنه المقنعة والخمار، أو القميص الفضفاض الواسع، فالعامل المشترك فيها تستر البدن)) [١]، فالحجاب أحد السُّبُل التي تحافظ على المرأة وتصونها من الضياع، والروايات أكدت ذلك فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((صيانةُ المرأةِ أنعمُ لحالِها، وأدومُ لجمالِها)) [٢]، وكذا في الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدم الخلوة بالنساء وآثار ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كانَ ثالثَهما الشيطانُ)). [٣]

إذاً فالتعامل مع المرأة يجب أنْ يكون ضمن الحدود الشرعية والضوابط الأخلاقية التي لا تؤدي إلى الإفساد والانحلال، فالمجتمع الذي نراه اليوم حقيقة هو بعيدٌ عن تعاليم الشريعة المقدسة وهذه الوصايا العظيمة، والأمر ليس متعلق بتركِ الحجاب في هذه المقطع فقط، بل ما يتعلق بدخولها وخروجها وإدخال الغير عليها، وكُلُّ ما يتعلق بشؤونها وصيانتها، وهذه من أعظم المناهج التربوية والوصايا إلى أولياء الأمور للتأمل في ذلك، وخصوصاً في هذا الزمن حيث تكالب أعداء الإسلام على المسلمين، ومحاولة إفساد أخلاقهم من خلال جميع الوسائل، وخصوصاً القنوات

---

[١] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٣/٢٥١

[٢] ميزان الحكمة ٧/٢٨٧٦

[٣] المصدر نفسه.

الإعلامية المرئية والمسموعة، فيجب علينا الحذر من كُلِّ ذلك، حيث أصبح العدو اليوم يدخل إلى البيوت، بل إلى الغرف الخاصة، فلنتأمل في قوله (عليه السلام): (وليس خروجهن بأشد من إدخالك مَنْ لا يوثق عليهن)، فإنها تحمل في أعماقها معان كبيرة جداً، وما تلك الصور المخالفة الشريعة والبرامج والقنوات إلا بمثابة دخول مَنْ لا يوثق عليهنَّ، فلا يمكننا أنْ نحافظ على تربية أبنائنا ونسائنا ما لم نرجع إلى الشريعة المقدسة ونتعرَّف على قوانينها وأنظمتها، لأنَّ شياطين الجن والإنس لا يريدون للإنسان خيراً، وسلاح من أسلحتهم هو المرأة، وهذا ما نراه حقيقة منهم، حيث أنواع الصور والأفلام والملابس التي تحمل في ظاهرها وباطنها من المغريات ما يؤدي إلى انحراف أمةٍ بكاملها، لذا فالمسؤولية على أولياء الأمور كبيرة جداً، وكذلك المؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد، من حيث التربية الصادقة، ومراقبة الطلبة، ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء، وغيرها من سبل الوقاية من هذا الهلاك، فالإمام يعبِّر عن هذا الخطر قبل أربعة عشر قرناً بأشد الألفاظ، فما هو حاله اليوم لو أراد أنْ يتكلم، وهذه البلاد الإسلامية نرى فيها ما يشيب منه الرأس، فعلينا أنْ نتأمل في حقيقة أحوالنا، وعاقبة أمورنا.

تاسعاً: صلة الرحم.

(وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ)

إنَّ صلة الرحم والتواصل من أهم سبل المحافظة على الروابط الاجتماعية التي حث عليها الإسلام من خلال تعاليمه، ولا يخفى على أيِّ إنسانٍ أثر ذلك في الصلاح، إضافة للثواب العظيم الذي وعد الله تعالى عليه، فالإمام يحث على إكرام العشيرة والتواصل وصلة الرحم في وصيته المباركة؛ للمحافظة على ذلك التواصل والتراحم والتعاهد، ولكن كُلّ ذلك يجب أنْ يكون ضمن الحدود التي تحفظ للمرء كرامته ومبادءه وتعاليم الشريعة المقدسة، لا ما هو المتعارف عند بعض الناس من الالتزام بالأعراف العشائرية وإنْ كانت على حساب الدين والمبدأ، وقد أشار الله تعالى في كتابة المجيد إلى ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1]، فالتعارف بين الناس على أساس المحبة وتقوى الله غاية عظيمة، وعلى أساسها تُبنى العلاقات الكريمة، وكذلك فالروايات المباركة قد حثت على هذا المبدأ القرآني في بناء المجتمع الإنساني المتكامل، فقد روي عن أمير المؤمنين في إحدى خطبه: ((أيها الناس إنه لا يستغني

---

[1] سورة الحجرات: الآية ١٣

الرجلُ وإنْ كان ذا مالٍ عن عترته (عشيرته) ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ الناسِ حيطة من ورائه وألَمَّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلةٍ إذا نزلت به)) [1]، ومن الروايات في الحث على صلة الرحم ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام): ((صلةُ الرحِمِ وحسنُ الجوارِ يعمِّرانِ الديارَ، ويزيدانِ في الأعمارِ)). [2]

وإنَّ لصلة الرحم آثاراً كثيرةً تضمنتها الروايات المباركة، ومن أهم آثار هذه الصلة: تزكية الإعمال، وتنمية الأحوال، ودفع البلاء، وتيسير الحساب، وتهوين سكرات الموت، والعصمة من الذنوب، وخير الدنيا والآخرة، وطول العمر، ونفي الفقر، والوقاية من ميتة السوء، وغيرها من الآثار المباركة. [3]

فالإمام في وصيته الخالدة يؤكد على هذه الأهداف إضافة لما لها من الآثار التربوية الأخرى على الفرد والمجتمع في تكامله.

---

[1] نهج البلاغة ٥٧/١

[2] الكافي ١٥٠/٢

[3] للاطلاع يمكن الرجوع إلى كتب الحديث ومنها ميزان الحكمة باب (صلة الرحم) ص١٠٥٤

عاشراً: التمسك بالحق.

(مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ)

إنَّ هذه الصفة أيضاً من الأسباب المهمة التي تساعد الفرد على تربية ذاته، وبالتالي تربية المجتمع، من خلال التمسك بالحق والتواصي به والحفاظ على مبادئه دون الركون إلى الباطل والتنازل عن المبادئ السامية للفرد والمجتمع الإسلامي، فإنَّ الحق يوصل إلى الخير والبر والتعاون وتحقيق السعادة في كُلِّ مجالاتها، وما نراه من الويلات التي تمر بها الإنسانية اليوم إلا بسبب ابتعادهم عن الله تعالى والركون إلى الباطل عن طريق اللذات والشهوات وما يترتب على ذلك من آثار، ولذا يعبر الإمام (عليه السلام) بلفظ (التعدي) فإنَّ فيه من الآثار ما لا يمكن أنْ يراها الفرد والمجتمع في العاجل، بل قد يقع في ظلماتها في المستقبل، ولذا يُعَبِّر الإمام عن هذه العاقبة بقوله: (ضاق مذهبه) وإذا ضاق بالمرء مذهبه وما يؤمن به صار يتخبَّط مع هذا وذاك حتى الضياع التام.

فهذا أمر يجب علينا أنْ نؤمن به، ونحافظ عليه، ونقدم له كل شيء، لأنَّ فيه الصلاح والوصول إلى الله تعالى، وجميع الشرائع حثت على ذلك.

في ختام هذه الفقرة العاشرة نكون قد بَيَّنا بإيجاز بعض الفقرات لهذه الوصية الخالدة، وما لها دور كبير، وأثر بليغ في بناء الروابط الإنسانية

في المجتمع، وإنَّ هذه الوصية قد تضمنت من المعاني ما لا تفي حقها هذ الصفحات، بل تحتاج إلى دقةٍ وتأملٍ كبيرَيْنِ للتعرُّف على مفرداتها السامية والتي بلغت العشرات، وفي كُلِّ فقرة منها درس من دروس التربية النفسية والاجتماعية وقد اقتصرنا على بعض الفقرات اختصاراً للذلك.

نتمنى أنْ نكون قد استطعنا أنْ نبيِّن بعض الجوانب المهمة لهـذا الوصية المباركة الخالدة التي أوصى بها ربيب القرآن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وهي رسالة إنسانية لكُلِّ إنسان، وكُلِّ مجتمع يبحث عـن نجاحـه وسـعادته، ووصوله إلى الرُّقي والتكامل الإنساني.

اللهم تقبل منا بأحسن قبولك واجعلنا

ممن ينتفعُ ويُنفع بهذه الكلمات الخالدة

وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلى الله على محمد وآله

الطيبين الطاهرين

خاتمة وتوصية:

- إن كتاب نهج البلاغة يعد من الكتب التربوية التي ينبغي علينا الاهتمام بها وقد تناول البحث هذا الجانب لأهميته في الحياة العملية من أجل مجتمع إنساني متكامل وقد حاولنا بيان بعض المفردات التي تضمنتها وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) الخالدة لولده الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال محاور البحث ..

- في المبحث الأول تم التركيز على مرحلة تهذيب الذات وعلاقتها الخاصة مع الله تعالى وأثر ذلك على التربية النفسية من خلال بعض مفردات الوصية وبيانها من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة التي وضعت منهجاً لذلك..

- في المبحث الثاني تم بيان أثر بعض الأعمال على سلامة قلب الإنسان مما يشوبه من المساوىء والانحرافات وبيان الأبواب التي تحافظ علة سلامة القلب من خلال كلمات الوصية وقد اخترنا عشرة أبواب لها دور في الحفاظ على القلب ليكون منبعاً للخير والعمل الصالح والتفكير السليم للصلاح والإصلاح والنجاة والسعادة ..

- في المبحث الثالث تناولنا الجانب الأبعد لتربية الذات وهو بيان دورها في المجتمع من خلال العلاقة مع الآخرين بأنواعها وكيفية المحافظة على

جميع العلاقات من خلال منهج تربوي يبينه الإمام (عليه السلام) في هذه الوصية العظيمة التي لها أثر كبير في صلاح المجتمع بعد صلاح النفس ..

- أرى من الواجب الاهتمام بهذه الوصية لما فيها من الدروس والعبر النافعة لأنْ تكون منهاجاً تربوياً متكاملاً في شتى المجالات، علماً أننا في البحث لم نتناول جميع المفردات التي وردت في الوصية وذلك لضيق المقام وإلا فهناك توصيات أخرى في هذه الوصية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها، وأتمنى أنْ يوفَّقَ الباحثون في مجال التربية إلى دراسة هذه الوصية بإمعان وتدبر كبيرين والمقارنة بين هذا المنهج الرباني والمنهج الإنساني ومنه الغربي لنرى عظمة تراثنا الإسلامي وتكامله واهتمامه بالتربية وبالإنسان ..

ملحق
نص الوصية الكاملة

(ملحق)

في ختام هذه الصفحات المباركة نذكر نص وصيـــة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام أبي محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) كما وردت في نهج البلاغة للفائدة منها، والاطلاع على هذا التراث العظـــيم، لأننا في تلك الصفحات لم نذكر سوى مقاطع منها؛ لحاجة البحث منها.

مِنَ الوَالِدِ الفَانِ، المُقِرِّ لِلزَّمَانِ، المُدْبِرِ العُمُرِ، المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الـــذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى المَوْلُودِ المُؤَمِّـــلِ مَـــا لاَ يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْـــقَامِ، وَ رَهِينَـــةِ الأَيَّـــامِ، وَرَمِيَّـــةِ المَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَ تَاجِرِ الغُرُورِ، وَغَرِيمِ المَنَايَا، وَأَسِيرِ المَوْتِ، وَحَلِيـــفِ الهُمُومِ، وَقَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالاِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْـــثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جَدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَـــابَنِي، وَكَـــأَنَّ اَلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْـــتُ إِلَيْـــكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ، إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ، أَوْ فَنِيتُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّـــهِ أَيُّ بُنَيَّ، وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَـــارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ، أَحْيِ قَلْبَـــكَ بِالْمَوْعِظَةِ. وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ،

وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ القَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ، فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ.

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي، دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي، كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوَى، وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ

جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ العُمُرِ، وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَ أَنْ أَبْتَدِءَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ، وَحَرَامِهِ، لاَ أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إِلَى أَمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ بِهِ الهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالإِصْبَارُ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالامْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لاَ بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الخُصُومَاتِ، وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالاِسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلاَلَةٍ، فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ العَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ، فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ المَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ، وَأَنَّ

الخَالِقَ هُوَ اَلْمُمِيتُ، وَأَنَّ المُفْنِيَ هُوَ المُعِيدُ، وَأَنَّ المُبْتَلِيَ هُوَ المُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالابْتِلاَءِ، وَالجَزَاءِ فِي المَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لاَ تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، فَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَنْبَأَ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وآله وسلم)، فَارْضَ بِهِ رَائِداً وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ، وَإِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتَهُ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً، وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهِينَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا، وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا، إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ

المَطْعَم، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ، وَمَثَلُ مَنِ اِغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ، وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، لاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَرِضَاتِهِ مَا اسْتَطَعْتَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، المُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ المُثْقِلِ، وَالمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ أَمْراً حَالاً مِنَ المُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ لاَ مَحَالَةَ، إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ، أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ المَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ،

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تعرَّضْتَ لِلْفَضِيحَةِ، الفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ المَتَابِ، وَ بَابَ الاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَيَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ فَلاَيَقْنَطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ العَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُعْطَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَ يُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلفَنَاءِ لاَ لِلبَقَاءِ، وَلِلمَوْتِ لاَ لِلحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، ودَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ المَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ

مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ، يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ المَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَيَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَ يَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا، رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ، مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الحَرَامُ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ المُسْتَنْصَحُ، وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى المُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَ لاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ وَمِنَ الفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ المَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ، وَلافِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلاَ تُخَاطِرْ

بِشَـــيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ، اِحْمِلْ نَفْـــسَكَ مِـــنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْـــفِ وَالْمُقَارَبَـــةِ، وَعِنْـــدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِـــهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِـــهِ، لاَ تَتَّخِذَنَّ عَـــدُوَّ صَـــدِيقِكَ صَـــدِيقاً فَتُعَـــادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلا أَلَذَّ مَغَبَّةً، وَ لِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِـــينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحَدُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْـــراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَـــعْتَ حَقَّهُ، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَـــسْعَى فِـــي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ؛ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَـــمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى، إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَـــاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى كُـــلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، اسْتَـــدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُـــورَ أَشْـــبَاهٌ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَـــتَّعِظُ بِـــالآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ، اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُـــسْنِ

الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ، أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ، وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَ الْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ، وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلاَّ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، أَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا

تَصُولُ، اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ القَضَاءِ لَكَ فِي اَلْعَاجِلَةِ وَالآجِلَـةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالسَّلاَمُ. (١)

---

(١) إنَّ من يقرأ هذه الوصية بتدبر وتفكر يرى عظمة تراث الأئمة (عليهم السلام) الذي قدموه للإنسانية كلها، فهذه الوصية من أعظم الوصايا في التراث الإنساني، وأرى أنني رغم ما قدمته من كلمات بإيجاز واختصار في بيان بعض فقراتها فالقلم والفكر يبقى عاجزاً أمام هذا البحر المتلاطم وما فيه من جواهر حسان، فإنها تحتاج إلى شرح طويل، وعميق، لبيان المفردات الإنسانية التي تنطوي فيها .. فسلام على علي بن أبي طالب "عليه السلام" إمام الإنسانية، وسيد الضمير الإنساني، والمعلم للإنسانية حقيقة الإنسانية، وصوت العدالة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الأخلاق عنوان الإيمان، السيد محمد تقي المدرسي، النـــاشر: محبـــي الحسين (عليه السلام)، ط٤، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، قم.

- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، مط سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤســـسة الأعلمـــي، بـــيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

- تزكية النفس سبيل المؤمن، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: محبي الحسين (عليه السلام)، ط١ ١٤٢٧هـ، قم.

- التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مـــدن، مـــط دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

- التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الـــشامي ،ط٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: ديوان الوقف الشيعي.

- جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، صححه وعلق عليه السيد محمد كلانتر، ط٤، مط الآداب، النجف، الناشر: جامعة النجف الدينية.

- الحقوق الاجتماعية في الإسلام، عباس ذهبيات، مط سفارة، قم، ١٤٢٦هـ الناشر: مركز الرسالة

- دروس في الحياة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مط أمير المؤمنين (عليه السلام)، قم، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

- دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، مط عمران، قم، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.

- الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار العلوم، بيروت.

- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مط دار الكتب العربية الكبرى، مصر.

- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مط الاستقامة، مصر.

- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم السيد محمد باقر الصدر، مط رسول، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، قم، الناشر: مدين.

- على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر دار محبي الحسين (عليه السلام)، ط١، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥م.

- غرر الكلم ودرر الحكم، الآمدي.

- في رحاب القرآن/ الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، إيران، الناشر: المشرق للثقافة والنشر.

- الكافي، الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩١هـ.

- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

- مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة، مط دار النصر، بيروت، الناشر: الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

- المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، مط دار إحياء التراث الغربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

- المنهج التربوي عند أهل البيت (عليه السلام)، السيد سعيد كاظم العذاري، مط ليلى، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ١٤٢٧هـ، قم.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تح مؤسسة تراث آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٣، ١٤١٦هـ، قم.

- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٢، مط دار الحديث، تح دار الحديث، ١٤١٦هـ.

- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

الفهرس

- مقدمة ٥
- تمهيد ١١
نهج البلاغة والمنهج الإسلامي في الأخلاق والتربية ١٧
- المبحث الأول: العلاقة بين العبد وربه وأثرها على التربية ٢٧
أولاً: تقوى الله ٢٨
ثانياً: عمارة القلب ٣١
ثالثاً: الاعتصام بحبل الله ٣٦
- المبحث الثاني: تهذيب النفس وأثره على السلوك الفردي ٤٣
أولاً: الموعظة ٤٧
ثانياً: الزهد ٥٣
ثالثاً: اليقين ٥٦
رابعاً: الحكمة ٥٩
خامساً: ذكر الموت ٦١
سادساً: الإقرار بالفناء ٦٣
سابعاً: بصِّره فجائع الدنيا ٦٤
ثامناً: صولة الدهر ٦٦
تاسعاً: عرض أخبار الماضين ٦٨

عاشراً: التذكر بما أصاب الأمم	٦٩
- المبحث الثالث: العلاقة بين الإنسان والمجتمع	٧٥
أولاً: الإخوة	٧٨
ثانياً: المعاشرة والصحبة	٨٣
ثالثاً: الرزق والابتعاد عن الحرام	٨٥
رابعاً: اجتناب الظلم	٨٧
خامساً: القناعة والكفاف	٨٩
سادساً: التحذير من الخصومة واللجاج	٩١
سابعاً: حسن الجوار	٩٣
ثامناً: كرامة المرأة	٩٥
تاسعاً: صلة الرحم	٩٨
عاشراً: التمسك بالحق	١٠٠
- خاتمة وتوصية	١٠٢
- ملحق (نص الوصية الكاملة)	١٠٧
- قائمة المصادر والمراجع	١١٧
- الفهرس	١٢١